

الرضا بالقضاء

د. سالم بن محمد القرني

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

ملخص البحث

تضمن البحث مقدمة ، ثم تعريفاً للرضا ، والقضاء والقدر في اللغة ، وفي الاصطلاح ، ثم حقيقة الرضا ، وأقوال الناس فيه ، وهل هو مقام أم حال ؟ ، وأن المقامات قد تحصل بفعل الأسباب ومن غير فعلها ، وفي كلا الحالتين فالمراد لها : الله ، وأما الحال فشرعية هي : التصرف بما أمر الله ورسوله وترك ما نهى عنه ، وغير شرعية ، وهي : السخط والاعتراض ، وعدم التسليم . ثم الصلة بين الرضا والتوكل ، وأن التوكل والتفويض يكون قبل وقوع القضاء ، والرضا بعد وقوعه وهو الثمرة .

ثم الأمر بالرضا بالقضاء والحث عليه ، والرضا وفعل الأسباب ، وبعض الشبهة ومناقشتها ، ومنزلة الرضا وفضله ، وأنواع القضاء :

● الديني ، والمراد به ، والأمر به ، وحكم الرضا به .

● الكوني ، والمراد به ، وأقسامه :

الأول : الموافق لمحبة العبد ، وإرادته ، ورضاه ، وحكم الرضا به .

الثاني : ما جاء على خلاف مراد العبد ، ومحبه مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره ، وأنه

قسمان :

أ - ما للعبد استطاعة ، واختياره ، وإرادة في منازعته ومدافعته بكل ممكن ، وحكم

الرضا به .

ب - ما ليس للعبد فيه اختيار ، ولا طاقة ، ولا حيلة في منازعته ، ومدافعته ، وحكم الرضا به .

ثم حكم الرضا بالمصائب ، وقولي العلماء ، وأدلتهم ، والراجع .

الثالث : وهو الجاري باختيار العبد وقضاء الرب ، مما يكرهه الله ويسخطه ((الرضا بالمعاصي)) وحكم الرضا به .

ثم بعض ما ينافي الرضا ؛ كالاعتراض على قضاء الله الشرعي ، وترك التوكل على الله ، والسخط بما قسم ، والحزن على ما فات ، والنياحة ، وتمني الموت لضر أو بلاء ، وعدم الرضا بالمقسوم من الرزق ، والجزع والهلع عند المصيبة .

ثم مذهب الصوفية في الرضا بالقضاء ، وأسباب ضلالتهم ودرجات الرضا عندهم ، ومناقشتهم .

ثم خاتمة بأهم النتائج ، وقائمة بالمراجع والمصادر .

• • •

المقدمة :

حمداً لله على نعمائه ، وجوده ، وكرمه ، ورضاه ، ونستعينه ، ونطلب الهداية والتوفيق والسداد منه ، ونستعيز برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، وبه منه ، ونسأله الرضا بعد القضاء ، والمعافة الدائمة في الدنيا والآخرة ، والقناعة بما قسم لنا ، من خير وإبعادنا عن الشر ، والإعانة على الصبر على القضاء ، والابتداء ، والافتداء بمحمد - ﷺ - .

أمّا بعد : فالرضا بالقضاء مأمور به في كتاب الله ، وفي سنة المصطفى - ﷺ -
- وفعل الأنبياء ، والصالحين ، والصديقين ، والشهداء ، ومن اقتفى أثرهم ، واهتدى بهداهم ، وقد تعبدنا الله به ، وهو من كمال تحقيق العبودية لله - تعالى - ، وسبب للخلاص من الشرك ، وإكمال للتوحيد ، وخضوع ، وتسليم لأمر الله ، ونهيه ، ويقين بأن الأمر كله لله ، بيده كل شيء ، فهو المعطي لمن يشاء ، المانع لمن يشاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

تحقيقه هداية ، يحمل على الإخلاص ، فيكون الباعث له في جميع الأعمال :
امثال أمر الله ، واجتناب نهيه ، والعلم بأنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم
يكن ، يقود صاحبه إلى الرضا بالقليل ، والعفاف عما في أيدي الناس ، ويبعده
عن التملق لغير الله ، أو الانشغال بغير عبادة الله ، ورضاه ، أو إرضاء الناس
بسخط الله ، ويورث العزم في متانة ، ويربط القلب ، فيمضي صاحبه حتى يبلغ
الغاية^(١) .

فالمؤمن بالقضاء ، الراضي به ، صبور متجلد ، يتحمل المشاق ، ويتضلع
بالأعباء ، وخاصة في العصور المتأخرة ، فكيف بالوقت الذي يكون ﴿ القابض
فيه على دينه كالقابض على الجمر ﴾^(٢) .

أما ضعيف الرضا بالقضاء ، الذي لا يقوى على احتمال المصائب ، ولا يصبر
على أدنى شيء منها ، فهذا لضعف إيمانه ، ورخاوة نفسه ، وانزعاجها العظيم
للشيء الحقير ، فما أن يصاب بالتأفة من الأمر حتى تراه حرج الصدر ، فتقض
مضجعه ، وتثورق جفنه ، وهي - وأكبر منها - لو وقعت لمن هو أقوى منه إيماناً
ورضاً بالقضاء لم يلق لها بالاً ، ولم تحرك منه نفساً ، ولنام ملء جفونه رضي
البال ، قرير العين .

فالذي يجزع لأتفه الأسباب ، قد يصل إلى الجنون ، أو الوسوسة ، أو
تعاطي المسكرات ، على اختلاف مستوياتها ، أو قتل النفس ، أو الانتحار .

وما أكثر هذه الأمور في المجتمعات التي لا ترضى بقضاء الله - تعالى - .

فالذي لا يرضى بما يصيبه من المصائب : يدب إلى روعه القنوط ، ويظن أنها
قاصمة الظهر ، ونازلة النوازل ، ويرمي نفسه في وحل اليأس ، وسجن الظلم .

أما المؤمن بالقضاء والقدر ، الصابر على المصيبة ، وعن المعصية ، فلا تراها إلا متفائلاً في جميع أحواله ، منتظراً الفرج من الله ، مؤقناً بأن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً ، وأن العاقبة للمتقوى ، وأن قضاء الله نافذ لا محالة ، فلا يأس ، ولا قنوط ، ولا كسل ، ولا هوان ، ولا تهاون ، تسمو به الحال ، فيصل إلى منزل الرضا ، فيرضى عن الله ، ويرضى الله عنه .

سبب اختيار الموضوع :

ولقد كان السلف الصالح - من عهد النبوة وعبر القرون الفاضلة - على هذا الاعتقاد ، وهذا المستوى في الرضا بالقضاء ، بيد أنه ظهر بعد ذلك خلل في هذا ، من قبل غلاة المتصوفة ، الذين أهملوا الوحي ، وحكموا العاطفة ، وتسابقوا في ترك الأسباب ، والغلو في ذلك ، حتى قال بعضهم : ﴿ الرضا : ألا نسأل الله الجنة ، ولا نستعيذه من النار ﴾^(٣) ، وقال الآخر :

أصبحت منفعلاً لما يختاره
مني ففعلي كله طاعات^(٤)

ثم في هذا الزمان فرط كثير من المسلمين في الرضا بحكم الله ، شرعاً ، وكوناً ، وقدراً ، فضعف الرضا ، واليقين ، واتبعت الشهوات والشبهات ، وتأثر المسلمون بالطرق الشيطانية ، الصارفة عن الرضا بقضاء الله .

ولو ضربنا أمثلة عن التقصير ، في الرضا بالقضاء الشرعي ، أو القضاء الكوني في كل ميدان من ميادين الحياة العملية ، والعلمية ، التجارية ، والسياسية ، الدينية ، والمالية ، الأسرية ، والاجتماعية ، لطال بنا المقام .

ولكن أترك الأمر للقارئ الكريم ؛ ليطبق ما ذكرته في هذا البحث المتواضع ، على واقع الناس في هذا الزمان ، آملاً ألا يغفل جانباً من جوانب الحياة ، سائلاً المولى عز وجل أن يكتب المغفرة للجميع .

فلهذا وذاك رأيت أن أكتب في الرضا بالقضاء ؛ للحاجة الملحة إلى ذلك ، ولأنني لم اطلع على كتابة في الموضوع ، مفردة ، مرتبة متناولة لكل مسائل الرضا بالقضاء ، على هذا الترتيب الذي جعلته في هذا البحث .

وقد اشتمل البحث على هذه المقدمة ، وعلى تعريف الرضا والقضاء والقدر في اللغة والاصطلاح وبيان حقيقة الرضا بالقضاء ، وأقوال الناس فيه ، وهل الرضا مقام أم حال ؟ ، والصلة بين الرضا والتوكل ، والأمر بالرضا والحث عليه ، في القرآن والسنة وأقوال السلف ، ثم الرضا بفعل الله ، وحكم الرضا به ، والقضاء الشرعي وأدلته ، وحكم الرضا به ، والقضاء الكوني القدري وأدلته ، والمراد به ، وأقسامه :

- ١ - الموافق لمحبة العبد ، وإرادته ، ورضاه ، وحكم الرضا به .
 - ٢ - ماجاء على خلاف مراد العبد ومحبه مِمَّا لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره ، وهو قسمان أيضاً :
 - أ - ما للعبد فيه استطاعة ، واختيار ، وإرادة في منازعته ومدافعته بكل ممكن ، وحكم الرضا به .
 - ب - ما ليس للعبد فيه اختيار ، ولا طاقة ، ولا حيلة في منازعته ومدافعته ، وحكم الرضا به .
- ثم حكم الرضا بالمصائب ، وأقوال العلماء في ذلك ، وبيان الراجح منها .
- ٣ - القسم الثالث من الكوني : وهو الجاري باختيار العبد ، وقضاء الرب ، مِمَّا يكرهه الله ، ويسخطه ، وينهى عنه ﴿ المعاصي ﴾ ، وحكم الرضا به .

وتفصيل تلك المسائل باختصار غير مغل - إن شاء الله - .

ثم ذكر بعض ما يناهز الرضا بالقضاء ، على وجه الاختصار ، مثل :

١ - الاعتراض على قضاء الله الشرعي الديني .

٢ - ترك التوكل على الله .

٣ - السخط بما قسم الله .

٤ - الحزن على ما فات .

٥ - النياحة .

٦ - تمنى الموت لضر نزل أو بلاء .

٧ - عدم الرضا بالمقسوم من الرزق .

٨ - الجزع والهلع .

ثم مناقشة الصوفية في انحرافهم في الرضا بالقضاء ، على وجه الاختصار غير المخل - ياذن الله تعالى - .

هذا وقد آثرت الإيجاز ، مع الحرص على الوفاء بالموضوع ، ليسهل على القارئ والمطلع الإفادة ، وأسأل الله أن يسدد أعمالنا ، ويغفر زلاتنا وتقصيرنا ، وأن ينفع بهذا البحث ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الرضا في اللغة

الرضا : مصدر ، مقصور : ضد السخط ، والسخط : الكراهية للشيء ، وعدم الرضا به^(٥) ، وفي حديث الدعاء : ﴿ اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ﴾^(٦) ، وقد رضي يرضى رضا ورضا ورضواناً ورضواناً - الأخيرة عن سيويوه^(٧) - فهو راض من قوم رُضاة^(٨) .

ورضيت عنك ، وعليك ، رضى ، ومثله : رضيت الشيء ، وارتضيته ، فهو مرضي ، ومرضو أيضاً ، على الأصل ، مقصور : مصدر محض ، والاسم الرضا ممدود^(٩) عن الأخفش^(١٠) .

قال القحيف العقيلي^(١١) :

إذا رضيت عليّ بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها
ولا تنبو سيف بني قشير ولا تمضي الأسنة في صفها^(١٢)
عدّاه بعلى ؛ لأنه إذا رضيت عنه أحبته ، وأقبلت عليه ، فلذلك استعمل على بمعنى عن^(١٣) .

وقال ابن جني^(١٤) : وكان أبو علي^(١٥) يستحسن قول الكسائي^(١٦) في هذا ، لأنه لما كانت رضيت ضد سخطت عدى رضيت بعلى ، حملاً للشيء على نقيضه ، كما يحمل على نظيره .

قال : وسلك سبويه هذه الطريق في المصادر كثيراً ، فقال : قالوا كذا ، كما قالوا كذا ، وأحدهما ضد الآخر^(١٧) ، وقوله - جلّ وعلا - : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(١٨) تأويله : أن الله - تعالى - رضي عنهم أفعالهم ، ورضوا عنه ما جازاهم به .

وأرضاه : أعطاه ما يرضى به^(١٩) .

وترضّاه : طلب رضاه ؛ قال :

إذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضّاهما ولا تملق^(٢٠)

أثبت الألف من ترضاها في موضع الجزم تشبيهاً بالياء في قوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد^(٢١)

والرضي : المرضي ، وارتضاه : رآه أهلاً ، والرجل الرضا^(٢٢) أي العدل .

وقالوا : رضيت عنه رضا ، وإن كان من الواوي : لمكان الكسر وحقه : رضو .

قال أبو منصور^(٢٣) : إذا جعلت الرضا بمعنى المراضاة فهو ممدود ، وإذا جعلته مصدر رضي يرضى فهو مقصور .

قال سيويه : وقالوا : عيشة راضية ، على النسب أي : ذات رضا . ومن الألفاظ التي بمعنى الرضا :

١ - الركون : كما في قول الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾^(٢٤) ، أي لا ترضوا أفعالهم^(٢٥) .

٢ - العُتْبَى بالضم : بمعنى الرضا^(٢٦) ، ومنه قوله - ﷺ - في الدعاء : ﴿ لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ﴾^(٢٧) ، واستعتب : طلب أن يرضى عنه ، كما تقول : استرضيته فأرضاني .

المعتب : المرضي ، ومنه الحديث : ﴿ لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِذَا مُحْسَنًا فَعَلَهُ يَزْدَادُ ، وَإِذَا مُسِيئًا فَلَعَلَهُ يَسْتَعْتَبُ ﴾^(٢٨) أي : يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا ، ومنه في الحديث : ﴿ وَلَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ﴾^(٢٩) أي ليس بعد الموت من استرضاء ، لأن الأعمال بطلت ، وانقضى زمانها ، وما بعد الموت دار جزاء ، لا دار عمل^(٣٠) .

٣ - الدَّقْع : - محركة - الرضا بالدون من العيشة ، وسوء احتمال الفقر^(٣١) .

٤ - القناع : كما في قول الله - تعالى - : ﴿ وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾^(٣٢) ، وهو من القنوع : الرضا باليسير من العطاء ، وقد قنع يقنع قنوعاً وقناعة بالكسر : إذا رضي ، وقنع بالفتح يقنع قنوعاً ، إذا سأله ، ومنه ما

ورد في الحديث : ﴿ القناعة كنز لا يفنى ﴾^(٣٣) لأن الإنفاق منها لا ينقطع ، كلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي^(٣٤) .

والقناعة : الرضا بالقسم ، وبابه سلم ، وهو قنع وقنوع ، وأقنعه الشيء : أي أَرْضَاه ، وقال بعض أهل العلم : إن القنوع أيضاً قد يكون بمعنى الرضا ، والقانع بمعنى الراضي ... ، ويجوز أن يكون السائل سمي قانعاً لأنه يرضى بما يعطى قلّ أو كثر ، ويقبله ، ولا يردّه ، فيكون معنى الكلمتين راجعاً إلى الرضا^(٣٥) .

٦ - القنى : بمعنى الرضا ، ومنه قول الله - تعالى - : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾^(٣٦) ، وقني الرجل - بالكسر - قنى ، بوزن رضا ، أي صار غنياً ، وراضياً ، والقنى - كإلى - : الرضا ؛ قناه الله ، وأقناه : أَرْضَاه ، وأقناه أيضاً : رَضَّاه ، ويقال : أعطاه الله وأقناه : أي أعطاه ما يسكن إليه^(٣٧) .

٧ - ويأتي الحمد بمعنى الرضا ، فيقال : بلوته فحمدته ، أي : رضيته ، ويقال : أحمد إليكم كذا : أي أَرْضَاه لكم^(٣٨) .

والرضا نقيض الغضب^(٣٩) ، والغضبة ضد الرضا^(٤٠) .

والرضا والغبطة : ضد الندامة والحسرة^(٤١) .

والرضا والوفاء : ملزوم أحدهما بالآخر^(٤٢) .

والتسليم : بذل الرضا بالحكم^(٤٣) .

القضاء في اللغة :

القضاء - ممدود - مصدر معرف ، أصله : قَضَايَ ، لأنه من قضيت ، إلا

أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت^(٤٤) ، فعله : قضى يقضي ، ومصدره :

قضاء وقضية ، والفاعل : قاضٍ ، والقاضي : القاطع للأمور المحكم لها^(٤٥) .

واستقضي فلان : أي جعل قاضياً .

والقضايا : جمع قضية وهي الأحكام .

والقضاء يأتي بعدة معان ، منها :

١ - الفصل في الحكم ، يقال : قضى يقضي قضاءً إذا حكم وفصل ، قال

- تعالى - : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾^(٤٦) أي : لفصل وحكم بينهم^(٤٧) .

٢ - ويأتي بمعنى الإتيان ، والفراغ منه : فيكون على هذا بمعنى الخلق ،

قال الله - تعالى - : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ ﴾^(٤٨) أي : ففرغ من خلقهن^(٤٩) .

٣ - بمعنى أداء الشيء وتمامه ، قال الله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا قُضِيْتُمْ

مَناسِكُكُمْ ﴾^(٥٠) أدبتم وفرغتم^(٥١) ، ويدخل في المعنى السابق .

٤ - ويأتي بمعنى : إمضاء القدر ، كما في قوله - سبحانه - : ﴿ فَلَمَّا

قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ ﴾^(٥٢) أي : أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت^(٥٣) .

٥ - التمام : كما في قول الله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ

ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾^(٥٤) فمعنى ((لقضي الأمر)) : لثم إهلاكهم^(٥٥) .

٦ - الإكمال والوفاء : ومنه قوله - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ

وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾^(٥٦) أي : فلما وفى ، وأكمل صاحبه الأجل^(٥٧) .

٧ - الحتم : ومنه قوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى

عِنْدَهُ ﴾^(٥٨) ، فالمعنى حتم بذلك .

٨ - الصنع والعمل : يدل على ذلك قول الله - تعالى - : ﴿ فَأَقْضِ مَا

أَنْتَ قَاضٍ ﴾^(٥٩) أي : اصنع وافعل واعمل ما أنت صانع أو فاعل أو

عامل^(٦٠) ، وتقول : قضى الشيء قضاءً صنعه وقدره .

وهذا هو القضاء الكوني القدري .

٩ - الإعلام : ومنه قول الله - عز وجل - : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾^(٦١) أي : أعلمناهم إعلاماً مقطوعاً به^(٦٢) .

١٠ - إنهاء العمر أو الحياة : من ذلك ما ورد في قصة موسى - عليه السلام - من قول الله - تعالى - : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾^(٦٣) أي : قتله وأنهى حياته بالوكز^(٦٤) .

١١ - الأمر^(٦٥) : من ذلك قول الله - تعالى - في الوصية والأمر بعبادته - سبحانه - : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(٦٦) أي : أمر وأوصى ، أمراً محتوماً ووصية مقطوعاً بها^(٦٧) .

وهذا هو القضاء الشرعي الديني .

وأكثر المعاني السابقة تعود إلى الفراغ ، وإتمام الشيء وانقطاعه ، وهناك اشتقاقات أخرى غير هذه ، ذكرها أهل اللغة ، يُرجع إليها في مظانها ، في مادة ﴿ قضى ﴾ والله الموفق .

القدر في اللغة :

القدر : بفتح القاف والdal : اسم يطلق على الحكم والقضاء ، أو القضاء الموفق^(٦٨) .

ومن ذلك حديث الاستخارة ، وفيه : ﴿ فاقدره لي ويسره لي ﴾^(٦٩) . وقال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^(٧٠) أي : إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدرناه وقضيناه^(٧١) .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾^(٧٢) أي : على أمر قد قدره الله ، وقضاه أي : قضاه في اللوح المحفوظ^(٧٣) .

وقال - سبحانه - : ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَاهَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ^(٧٤) أي : قضى إليه فيها ؛ إنها لمن الباقين ثم هي مهلكة بعد ^(٧٥) .

وقال - سبحانه - : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ^(٧٦) وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق ، وتقضى ^(٧٧) .

ويأتي بمعنى : التصيق ^(٧٨) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ^(٧٩) أي : ويقرر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه ، فيضيقه عليه ؛ لأنه لا يصلحه إلا الإقتار ^(٨٠) ، وقوله - تعالى - : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ ^(٨١) .
ويأتي : بمعنى الخلق : ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ^(٨٢) أي : والذي قدر خلقه فهدى ^(٨٣) .

والقَدَرُ : بفتح القاف والذال أيضاً : الطاقة والوسع ^(٨٤) ، كما يدل على ذلك قول الله - عز وجل - : ﴿عَلَى الْمَوْسَى قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ ^(٨٥) وقَدَر الشيء - بالتشديد - : قضاه ، ويجوز التخفيف .

والقَدَرُ : بفتح القاف وإسكان الدال : الوسع والطاقة ، أيضاً ، وبمعنى المقدار ، فقدر كل شيء مقداره أي : مقياسه ، يقال : قدره به قدراً إذا قاسه ، والقدر من الرحال والسروج : الوسط ^(٨٦) .

وقدرت الشيء أقدره من التقدير ، ومنه قوله - ﷺ - في الحديث : ﴿فَإِنْ غَمَ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ﴾ ^(٨٧) أي : قدرُوا له عدد الشهر ثلاثين يوماً ، وقيل : قدرُوا له منازل القمر ، فإنه يدلکم على أن الشهر تسعة وعشرون يوماً أم ثلاثون يوماً ^(٨٨) .

والقَدَرُ ، والتقدير : تبين كمية الشيء ، يقال : قَدَرْتَهُ وقَدَّرْتَهُ وقدره بالتشديد ، أعطاه القدرة ، يقال : قَدَّرَنِي الله على كذا وقواني عليه .

فتقدير الله الأشياء على وجهين :

أحدهما : إعطاء القدرة .

والثاني : بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة .

فأحدهما بالحكم منه - سبحانه - ، أن يكون كذا أولاً يكون كذا^(٨٩) ، كما في قول الله - تعالى - : ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾^(٩٠) .

والمراد أن الله علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته ، فهو قضاؤه .

القضاء والقدر في الاصطلاح :

ممّا سبق في تعريف القضاء والقدر في اللغة ، وما تدل عليه النصوص الشرعية ، يتبين لنا أن القضاء والقدر في الاصطلاح ، أو في الشرع : تقدير الله الأشياء في الأزل وقضاؤها وكتابتها في اللوح المحفوظ ، وعلمه - سبحانه - بوقوعها في أوقات معلومة عنده ، على صفات مخصوصة بمشيئته ، وقدرته ، وخلقها وأمره ، والأمر باليقين والعمل لذلك .

قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^(٩١) .

وقال - سبحانه - : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾^(٩٢) .

وقال - عز وجل - : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٩٣) .

وقد عرفه الإمام أحمد بقوله : ﴿ القدر : قدرة الله ﴾^(٩٤) .

وعرف بتعريفات أخرى ، كلها تدل على علم الله بكل ما أراد إيجادها ، أو إفنائها ، من العوالم ، والخلائق ، والأحداث ، والأشياء ، وتقدير ذلك ، وكتابته في اللوح المحفوظ ، كما هو : كميته ، وصفته ، وكيفيته ، وزمانه ، وأسبابه ،

ومقدماته ، ونتائجها ، بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن وقته ، ولا يتقدم ، ولا يتبدل^(٩٥) .

ومعنى قولهم : ﴿ القدر سر الله في خلقه ﴾ : أن الله قد أخفى علمه عن خلقه ، فلا يطلع عليه أحد لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فهو - سبحانه - أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وهدى وأضل ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٩٦) .

وقد روي عن ابن عمر مرفوعاً : ((لا تكلموا بشيء من القدر فإنه سر الله فلا تفشوا سر الله))^(٩٧) .

وسئل علي - رضي الله عنه - عن القدر ، فقال : ﴿ سر الله فلا تكشفه ﴾^(٩٨) .

﴿ والقضاء والقدر : أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس ؛ وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء ؛ وهو القضاء ﴾^(٩٩) . فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ، ونقضه ، فالمقضي مقدر ، والمقدر مقضي ، ولا دليل على التفريق بينهما^(١٠٠) ، إلا أن الذي أراه أنهما إذا اجتمعا فإن لكل لفظ من لفظيهما زيادة بيان عن الآخر من وجه ، كما هو الحال في ألفاظ اللغة العربية ومترادفاتها ، ومن ذلك ألفاظ القرآن الكريم ثم إن لذكر اللفظ مع الآخر في موضع أو سياق له دلالة ، والله أعلم .

وقد جاء في تعريف الرضا بالقضاء أقوال كثيرة ، منها :

قيل : ﴿ الرضا : ارتفاع الجزع في أي حكم كان ﴾^(١٠١) .

وقيل : ﴿ سكون القلب تحت مجاري الأحكام ﴾^(١٠٢) .

وقال بعضهم الرضا : ﴿ ترك الخلاف على الله فيما يجريه على العبد ﴾ (١٠٣) .

وقال آخر الرضا : ﴿ سرور القلب بمر القضاء ﴾ (١٠٤) .

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : ﴿ الرضا : أن لا ترضي الناس بسخط الله ، ولا تحمد أحداً على رزق الله ، ولا تلم أحداً على ما لم يؤتك الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره ، والله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ﴾ (١٠٥) .

وقيل : الرضا : ألا يتمنى خلاف حاله (١٠٦) .

وقيل : الرضا : ترك الاختيار (١٠٧) .

وقيل : الرضا : استقبال الأحكام بالفرح (١٠٨) .

وقال بعضهم الرضا : نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد ؛ فإنه اختار له الأفضل (١٠٩) .

وسئل أحدهم عن الرضا ، فقال : ﴿ من لم يندم على ما فات من الدنيا ، ولم يتأسف عليها ﴾ (١١٠) .

وقال الآخر : ﴿ معنى الرضا : فيه ثلاثة أقوال : ترك الاختيار ، وسرور القلب بمر القضاء ، وإسقاط التدبير من النفس حتى يحكم لها عليها ﴾ (١١١) .

ولما سئل أحدهم عن الرضا ، قال : ﴿ الرضا بالحق ، والرضا عن الحق ، والرضا له ﴾ .

فقال : الرضا به : مدبراً ومختاراً ، والرضا عنه : قاسماً ومعطياً ، والرضا له : لها ورباً ﴾ (١١٢) .

وقال شقيق البلخي^(١١٣) : ﴿ وتفسير الرضا على ثلاث^(١١٤) خصال : أولها : أمن من الفقر ، والثاني : حب القلة ، والثالث : خوف الضمان ، وتفسير الضمان : ألا يخاف إذا وقع في يده شيء من أمر الدنيا ؛ أن يقيم حجته بين يدي الله ، في أخذه ، وإعطائه ، على أي الوجوه كان ﴾^(١١٥) .

وقال الراغب الأصفهاني^(١١٦) : ﴿ ورضا العبد عن الله : أن لا يكره ما يجري به قضاؤه ، ورضا الله عن العبد : هو أن يراه مؤتمراً لأمره ، ومنتهياً عن نهيه ﴾^(١١٧) .

والرضا عمل قلبي ، ليس بقول اللسان ، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والإرادات .

ولهذا يُمكن أن يكون تعريف الرضا تبعاً لمعناه في اللغة ، وما سبق من هذه الأقوال جميعاً ، وما يوافق نصوص كتاب الله ، وسنة رسوله - ﷺ - هو : التسليم بالقضاء ، والقناعة بما قسم ، قل أو كثر ، والسكون إلى الله ، وحمده على ما قضاه ، وترك الندم أو الحسرة أو الحزن على ما فات من رزق ، وعدم التسخط ، أو الاعتراض على ما وقع من قضاء الله الكوني ، وحب أمر الله ، والعمل به ، وترك معاصيه ، واجتنابها ، والبشر والإكرام ، والغنى عما في أيدي الناس ، واليقين بأن الله المعطي ، المانع وحده لا شريك له .

أو نقول : الإيمان بالقضاء والقدر هو : التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ، واليقين بأنه - سبحانه - الفَعَّالُ لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج عن مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ ، وأنه خالق أفعال العباد ، من الطاعات ، والمعاصي ، ومع ذلك

فقد أمر العباد ، ونهاهم ، وجعلهم مختارين لأفعالهم ، غير مجبورين عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم ، وإرادتهم . يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (١١٨) .

ثم الرضا بعد وقوع كل ذلك ، وتحقيقه بما يجري عليه من هذا القضاء والقدر ، وعدم الجزع ، أو الاعتراض على ما قضي ، والتسليم للأمر والنهي ، وما وقع من خير أو شر ، وأن الله حكمة في ذلك ، لا يعلمها إلا هو ، قد تكون خيراً للعبد ، وهو يظن أنها ليست كذلك ، فيحسن الظن بالله - تعالى - ، ويقنع بما يحصل له من رزق ، وغيره ، ولا تتوق نفسه إلى غير ما قضي ، وقدر له ، مع فعل الأسباب المأمور بها .

حقيقة الرضا

والرضا - وإن كان من أعمال القلوب - فله حقيقة ترجمه إلى واقع ملموس ، ومشاهد ، ويتفاوت الناس عند الله - تعالى - في هذه الأعمال ، فما هي حقيقة الرضا ؟ .

لقد تحدث الكثير عن حقيقة الرضا ، وأمسك البعض وظن أن حقيقة الرضا لا تعرف ، ولا تعلم (١١٩) ، وبالع آخرون ، فجعلوا الرضا من جملة الأحوال التي ليست بمكتسبة بل هو موهبة محضة (١٢٠) ، وبعضهم جعله الانطراح والتسليم لما يجريه الله دون العمل ، حتى يقول : ﴿ الرضا أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيز به من النار ﴾ (١٢١) .

وإليك أقوال الناس عن حقيقة الرضا :

قليل : حقيقة الرضا من رضي الله في كل شيء فقد بلغ حد الرضا (١٢٢) .

وقيل : عدم الحرص على الازدياد ، فهذا غنى النفس ، الذي هو الناشيء عن الرضا بقضاء الله - تعالى - والتسليم لأمره ؛ وأن ما عتده خير وأبقى ، فيعرض صاحبه عن الحرص والطلب ، كما قال القائل :

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً^(١٢٣)
وقال سفيان الثوري : ﴿ لا يكون غنياً أبداً حتى يرضى بما قسم الله له ؛ فذلك الغنى ﴾^(١٢٤) .

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : ﴿ ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أي حال أراهم ، أسراء أم بضراء ، وما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها ﴾^(١٢٥) .

وقيل للفضيل بن عياض : من الراضي عن الله ؟ قال : الذي لا يحب أن يكون على غير منزلته التي جعل فيها^(١٢٦) .

وقيل عن الرضا : من لم يتكلم بغير الرضا فهو راض^(١٢٧) .

وقيل : اشتكى عمران بن حصين - رضي الله عنه - فدخل عليه جاره ، فاستبطأه في العيادة ، فقال له : يا أبا نجيد ، إن بعض ما يمنعني من عبادتك ما أرى بكم من الجهد . قال : فلا تفعل ، فإن أحبه إليّ أحبه إلى الله ، فلا تبتس لي بما ترى ، أرأيت إذا كان ما ترى مجازاة بذنوب قد مضت ، وأنا أرجو عفو الله على ما بقي ، فإنه قال : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾^{(١٢٨)(١٢٩)} .

وقيل : إن سفيان الثوري قال عند رابعة^(١٣٠) : ﴿ اللهم ارض عني ﴾ فقالت له : أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه براض^(١٣١) ؟ .

قال سهل^(١٣٢) : إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمأنينة ، فطوبى لهم وحسن مآب .

يريد قوله - جلّ وعزّ - : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١٣٣) .
فمعناه: أن الرضا في الدنيا تحت مجاري الأحكام ، يورث الرضوان في الآخرة بما
جرت به الأقدام .

قال الله - تعالى - : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ (١٣٤)(١٣٥) .

وقيل : ﴿الرضا عن الله ينتظم الصبر انتظاماً﴾ (١٣٦) .

وقيل : ﴿ثلاثة من أعلام التسليم : مقابلة القضاء بالرضا ، والصبر عند
البلاء ، والشكر عند الرضا﴾ (١٣٧) .

وقيل لسفيان بن عيينة : ما حد الزهد ؟ قال : ﴿أن تكون شاكراً في
الرضا ، صابراً في البلاء﴾ (١٣٨) .

وقال نفطويه (١٣٩) : ﴿كان يقال : العاقل من كرم صبره عند البلاء ، ولم
يظهر منه ترفع عند الرضا﴾ (١٤٠) .

وسئل بعضهم عن أصول الدين ، فقال : ﴿اثنان : صدق الافتقار إلى الله
- عزّ وجل - وحسن الاقتداء برسول الله - ﷺ - ، وفرعه أربعة : الوفاء
بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود﴾ (١٤١) .

وقال الساجي (١٤٢) : ((قال لي رجل لو جعلت لي دعوة مستجابة ما
سألت الفردوس ، ولكن أسأله الرضى : هو تعجيل الفردوس .

الرضى : إنما هو في الدنيا ، يقول : ﴿رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ،
وأعد لهم هناك في الآخرة ، والرضى : ملك يفضي إلى ملك ، وهم أوجه الخلق
عندهم ، ولم تكن لهم أعمال تقدمت شكرهم عليها ، ولا شغفا لهم عنده ،
ولكنه كان ابتداء منه ، وقد فرغ الله مما أرادوا ، أسعد بالعلم من قد عرف ،

وإنما العقوبات على قدر الملمات ، إذا لم يكن شيء جاءت عقوبات ذلك بقدره ﴿١٤٣﴾ .

وقال أحدهم : ﴿ وثلاثة من أعلام الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المראה بعد القضاء ، وهيجان الحب في حشو البلاء ﴾ ﴿١٤٤﴾ .

وقيل : ﴿ الرضى سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل فيرضى به ﴾ ﴿١٤٥﴾ .

قال ابن القيم - رحمه الله - بعد ذكر هذا القول : ﴿ قلت : وهذا رضى بما منه ، وأما الرضا به : فأعلى من هذا ، وأفضل ، ففرق بين من هو راض بمحبوبه ، وبين من هو راض بما يناله من محبوبه ، من حظوظ نفسه ، والله أعلم ﴾ ﴿١٤٦﴾ .

وقال أيضاً - رحمه الله - : ﴿ ومنها - أي من حكمته - أنه - سبحانه - يذيق ألم الحجاب عنه ، والبعد ، وزوال ذلك الأنس ، والقرب ، ليمتحن عبده ، فإن أقام على الرضا بهذه الحال ، ولم يجد نفسه تطالبه حالها الأول مع الله ، بل اطمأنت ، وسكنت إلى غيره ، علم أنه لا يصلح ، فوضعه في مرتبته التي تليق به ... ﴾ ﴿١٤٧﴾ .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكماله الحمد ، حتى إن بعضهم فسر الحمد بالرضا ، وذلك يتضمن الرضا بقضائه ﴾ ﴿١٤٨﴾ .

وقال : ﴿ والله يستحق الرضا لذاته ﴾ ﴿١٤٩﴾ .

وقد رأى بعضهم أن حقيقة الرضا هي : الزهد ، كما روي عن الفضيل بن عياض أنه قال : ﴿ الزهد : الرضا عن الله ﴾ ﴿١٥٠﴾ .

وقد رأى بعض العلماء أن الرضا هو : غنى النفس .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : ﴿ ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس ﴾ ^(١٥١) ، وغنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، علماً بأن الذي عند الله خير وأبقى ، فهو معرض عن الحرص ، والطلب .

فالمتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله ، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ، ولا يلح في الطلب ، ولا يلحف في السؤال ، بل يرضى بما قسم الله له ، فكأنه واحد أبداً ^(١٥٢) .

وهذا ما عناه النبي - ﷺ - عندما استعاذ من فتنة الغنى ، وفتنة الفقر ؛ لأنهما حالتان تخشى الفتنة فيهما ، بالتسخط ، وقلة الصبر ، والوقوع في حرام ، أو شبهة للحاجة ، ويخاف من الأشر ، والبطر ، والبخل بحقوق المال ، أو إنفاقه في إسراف ، وفي باطل ، أو في مفاخر ...

قال الخطابي : ﴿ إنما استعاذ - ﷺ - من الفقر الذي هو فقر النفس ، لا قلة المال ﴾ ^(١٥٣) .

وقال القاضي عياض : ﴿ وقد تكون استعاذته من فقر المال ، والمراد الفتنة في عدم احتمالها ، وقلة الرضا به ... ﴾ ^(١٥٤) .

وبعضهم يرى أن حقيقة الرضا : القناعة ، أو أن القناعة أول الرضا ^(١٥٥) . وروى عن أبي سليمان الداراني قوله : ﴿ إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض ﴾ ^(١٥٦) .

وعلى هذا إنما يمنع العبد من الرضا والقناعة طلب نفسه لفضول شهواتها ، فإذا لم يحصل سخط ، فإذا سلا عن شهوات نفسه ، رضي بما قسم الله له من الرزق ^(١٥٧) .

وقال أعرابي في الرضى ، والقناعة^(١٥٨) ، وذم السؤال :

علام سؤال الناس والرزق واسع وأنت صحيح لم تخنك الأصابع
وللعيش أوكار وفي الأرض مذهب عريض وباب الرزق في الأرض واسع
فكن طالباً للرزق من رازق الغنى وخل سؤال الناس فالله صانع^(١٥٩)
وقال مسلم بن الوليد^(١٦٠) :

أقول لمأفون البديهة طائر مع الحرص لم يغنم ولم يتمول
سل الناس إنني سائل الله وحده وصائن عرضي عن فلان وعن فل^(١٦١)
وقال بعض العلماء نظماً :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لاتدري أتصبح أم تَمسي^(١٦٢)
قال أبو ذؤيب الهذلي^(١٦٣) :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع^(١٦٤)
وقال لبید^(١٦٥) :

فمنهم سعيد أخذ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانع^(١٦٦)

قلتُ : ويُمكن أن تكون حقيقة الرضا ، هي : لزوم ما جعل الله رضا فيه ، من الأحكام الشرعية ، بامتنال أو أمره ، واجتناب نواهيه ، لاسيما إذا قام بواجبها ، ومستحبها ، وعمل ما أبيض له من غير تعد إلى المخطور ، مع اليقين والصبر ، وعدم طلب فضول الشهوات ، والقناعة بما يقضيه الله له في عيشه ، وما يحتاج إليه في حياته ، وعدم حسد الخلق ، أو مخاصمتهم ، أو تمنى ما في أيديهم ، أو سخط ما آتاه الله ، وإن كانت نفسه تكرهه طبعاً ، وتظنه ليس خيراً ، والتسليم بذلك ، مع فعل الأسباب المأمور بها ، وكراهة المعاصي ، والابتعاد عنها ، كما تدل عليه النصوص الكثيرة ، منها قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ، جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿١٦٧﴾ .

وما في الصحيح عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَالَ : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته ﴾ (١٦٨) .

وستتضح حقيقة الرضا بالحديث عن أنواع الرضا بالقضاء وأنواع القضاء - إن شاء الله تعالى - .

الرضا مقام أم حال ؟

واختلف أهل التصوف في حقيقة الرضا هل هو مقام مكتسب ، أم حال موهبي ؟ إلى ثلاث فرق أو طرق هي :

١ - طائفة - أو فرقة - قالت : الرضى مقام مكتسب ، هو نهاية التوكل ، يُمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه ، وهؤلاء متصوفة خراسان ، في القرن الثامن ، ومن تبعهم عليه (١٦٩) .

واحتجت هذه الطائفة بأن الله مدح أهله ، وأثنى عليهم ، وندبهم إليه ، فدل ذلك على أنه مقدور لهم (١٧٠) .

٢ - طائفة - أو فرقة - قالت : الرضا حال من جملة الأحوال ، وليس كسبياً للبعد ، بل هو نازلة تحل بالقلب ، كسائر الأحوال ، أي أنه موهبة محضه (١٧١) .

٣ - وطائفة ثالثة ؛ منهم القشيري - صاحب الرسالة القشيرية وغيره - قالوا : بداية الرضا مكتسبة للبعد ، وهي من جملة المقامات ، ونهايته من جملة الأحوال ، وليست مكتسبة ، فأوله مقام ونهايته حال (١٧٢) . واعتبروا هذا جمعاً - أو حكماً - يُمكن الجمع به بين مذهب الطائفتين السابقتين .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ فمما اختلفوا فيه : الرضا ، هل هو حال أم مقام ، فيه خلاف بين الخراسانيين والعراقيين ، وحكم بينهم بعض الشيوخ فقال : إن حصلت بكسب فهو مقام ، وإلا فهو حال .

والصحيح في هذا : أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها ، فتكون لوامع ، وبوارق ، ولوائح عند أول ظهورها وبدؤها ، كما يلعب البارق ، ويلوح عن بعد ، فإذا نازلته ، وبارشها فهي أحوال ، فإذا تمكنت منه ، وثبتت له من غير انتقال ، فهي مقامات ، وهي لوامع ، ولوائح في أولها ، وأحوال في أوسطها ، ومقامات في نهاياتها ﴿ (١٧٣) .

فهو يرى - رحمه الله - أن الرضى كسبي باعتبار سببه ، موهبي باعتبار حقيقته ، فقال : ﴿ فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه ، فإذا تمكنت في أسبابه ، وغرس شجرته : اجتني منها ثمرة الرضى ، فإن الرضى آخر التوكل ﴿ (١٧٤) .

قلتُ : والفرق بين المقامات ، والأحوال عند الصوفية : أن المقامات عندهم من المكاسب ، أمّا الأحوال فهي مجرد المواهب .

والصحيح : أن المقامات قد تحصل بفعل الأسباب من العبد ، وقد تحصل من غير فعل العبد ، وفي كلا الحالتين فالوجد لها هو الله - سبحانه وتعالى - ، فمقام الرضا بالقضاء : مقام عظيم ، وأصل من أصول الإيمان ، ومن قواعد الدين ، التي يطلب بها حظوظ الدنيا ، وأمور الدين ، وهي في أمور الدين أعظم ، كالترك ، والإنابة ، والاستعانة ، وغيرها (١٧٥) .

وقد يحصل على الرضا بسبب ، وقد لا يحصل عليه ، فالسبب والمسبب من الله - تعالى - ، ولذلك طلب الرسول - ﷺ - : الرضا بالقضاء : ﴿ وأسألك الرضا بعد القضاء ﴾ .

أما الحال فهي التي يكون عليها العبد عند القضاء وهي قسمان :

١ - حال شرعية : وهي التصرف بما أمر الله ورسوله ، وترك ما نهى الله عنه ، ورسوله ، فهذه الأحوال مواهب من الله ، وكرامات للصالحين من هذه الأمة .

٢ - حال غير شرعية : وهي السخط ، والاعتراض ، وعدم التسليم ، وهي حال فاسدة لا يمثل صاحبها ما أمر الله به ورسوله ، ولا يتصرف بها في ذلك .

فهذه حال الأشقياء المخالفين للشرعية ، ولا يدل إعطاؤهم ، أو إمهالهم ، على محبة الله لهم .

الصلة بين الرضا والتوكل

التوكل من مقامات المؤمنين لا انفكاك للمؤمن منه .

والرضا أعلى درجات التوكل ، بل هو باب الله الأعظم ، كما قيل ، وجنة

الدنيا ، ومستراح العابدين ونعيمهم ، وحياة المختين ، وقرة عيون المشتاقين ﴿١٧٦﴾ .

فالرضا ثمرة التوكل ، والتوكل نصف الإيمان ، وهما من أعلى مقامات الإحسان التي هي أعلى المندوبات ﴿١٧٧﴾ .

وقد قيل : إن حقيقة التوكل : الرضا ؛ لأنه لما كان ثمرته ، وموجبه ، استدلل له عليه استدلالاً بالأثر على المؤثر ، وبالمعلول على العلة ، لا أن التوكل هو الرضا ، أو الرضا التوكل ﴿١٧٨﴾ .

وقد سئل أبو بكر الواسطي عن ماهية التوكل ، قال : ﴿ الصبر على طوارق المحن ، ثم التفويض ، ثم التسليم ، ثم الرضا ، ثم الثقة ﴾ ﴿١٧٩﴾ .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ ﴿١٨٠﴾ .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ﴿ فتضمنت هذه الآية الكريمة أدباً عظيماً ، وسراً شريفاً ، حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله ، والتوكل على الله وحده ، وهو قوله : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ ، وكذلك الرغبة إلى الله وحده ، في التوفيق لطاعة الرسول - ﷺ - وامتنال أوامره ، وترك زواجه ، وتصديق أخباره ، والاقتضاء بآثاره ﴾ ﴿١٨١﴾ .

فعلى هذا لا بد من فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه ، في التوكل والرضا ، ومن قال فيهما بترك الأسباب ، والركون إلى مسبب الأسباب ، فقد طعن في سنة الرسول - ﷺ - كما سيأتي - إن شاء الله - في فصل الرضا ، وفعل الأسباب .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ والرضا والتوكل يكتفان المقدور ، فالتوكل قبل وقوعه ، والرضا بعد وقوعه ﴾ ﴿١٨٢﴾ .

فما يكون قبل القضاء إنما هو عزم على الرضا ، وهو التوكل لا حقيقة الرضا ، فهو بعد القضاء ، فالعبد لابد أن يتوكل على الله ، ويعزم على الرضا ، فيما لو وقع ما لا يحب ، أو ما لا يرى فيه فائدته في الظاهر ، وإذا وقع المقدر ، رضي به ، على ما سيأتي في حكم الرضا بالقضاء - إن شاء الله - .

ولهذا كان النبي - ﷺ - يقول في الصلاة ما روي عن الصحابي الجليل :
 عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال : كان النبي - ﷺ - يقول في الصلاة :
 ﴿ اللهم بعلمك الغيب ، وبقدرتك على الخلق ، أحيي ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ، اللهم إنني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، اللهم إنني أسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين ﴾ (١٨٣) .

قال بعضهم في معنى قول النبي - ﷺ - : ﴿ أسألك الرضا بعد القضاء ﴾ قال : ﴿ لأن الرضى قبل القضاء عزم على الرضا ، والرضى بعد القضاء هو الرضا ﴾ (١٨٤) .

وقال أبو سعيد الخراز (١٨٥) : ﴿ الرضا قبل القضاء تفويض ، والرضا بعد القضاء تسليم ﴾ (١٨٦) .

وقيل : ﴿ ثلاثة من أعلام الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المراجعة بعد القضاء ، وهيجان الحب في حشو البلاء ﴾ (١٨٧) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ ولهذا كان طائفة من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء ، فإذا وقع انفسخت عزائمهم ، كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره ﴾ (١٨٨) .

واستشهد بعدة آيات منها قول الله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (١٨٩) .

وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (١٩٠) .

وهذه الآية نزلت في أناس من المؤمنين ، تمنوا معرفة أحب الأعمال ، وأفضلها ، ليعملوا بها ، فلما أخبر الله نبيه بذلك قصرُوا في ذلك فعوتبوا (١٩١) .
فالخاص أن التوكل والتفويض يكون قبل وقوع المقدور ، والرضا بعده ، وهو الثمرة .

قال رسول الله - ﷺ - في دعاء الاستخارة : ﴿ اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر - ثم تسميه بعينه - خيراً لي في عاجل أمري وآجله ، قال : أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ، ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ، أو قال : في عاجل أمري ، وآجله ، فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضي به ﴾ (١٩٢) .

فهذه حاجته التي سألها متوكلاً عليه - سبحانه - ، ولم يبق عليه إلا الرضى بما يقضيه له ، فقال : ﴿ اقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضي به ﴾ (١٩٣) .

فالرضا إنما يأتي بعد الاستعانة ، والتوكل على الله ؛ لأن اليقين بالقضاء الذي لم يقع ليس برضا ، وإنما يكون بعد وقوع المقضي ، أمّا قبل وقوعه فاستعانة وتوكل فقط ، فمن بلغ الرضا فلاشك أنه استعان بالله وتوكل عليه ، ومن استعان بالله وتوكل عليه فقد بلغ الرضا .

الأمر بالرضا بالقضاء والحث عليه

حث الإسلام على الرضا بالقضاء والقدر ، وأمر به في نصوص كثيرة ، منها :

١ - قول الله - تعالى - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَةٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٩٤) .

فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله ، وإن شق على النفوس ، وعلى الرضا بقضائه ، وإن كرهته النفوس ، فهو - سبحانه - كما هو العليم في اختياره من يختاره من خلقه ، وإضلاله من يضلّه منهم : العليم الحكيم بما في أمره ، وشرعه من العواقب الحميدة ، والغايات العظيمة .

فبين - سبحانه - أن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة ، والمنفعة لهم ، التي اقتضت أن يختاره ، ويأمرهم به ، وهم قد يكرهونه ، إمّا لعدم العلم ، وإمّا لنفور الطبع ، فهذا علمه بما في عواقب أمره ممّا لا يعلمونه (١٩٥) .

٢ - وقوله - عز وجل - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لَكِنَّا لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٩٦) .

فما أصاب العبد من مصيبة في الأرض ، من قحط ، وجذب ، وذهاب زرع ، وغير ذلك ، أو في الأنفس من الأمراض ، والأوجاع ، حتى خدش العود ، ونكبة القدم ، إلا مقدر مقضي في اللوح المحفوظ ، من قبل أن يخلقها الله ، فلا يحزن العبد على ما فاتته ، أو يفرح فرح مختال متكبر ، ولكن لا بد له من الرضا بما يصيبه من القضاء ، إن خيراً ، وإن غير ذلك (١٩٧) .

٣ - ومنها قوله - سبحانه - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٩٨) .

أي : لم يصب أحداً من الخلق مصيبة إلا بإذن الله ، أي بقضائه ، وتقديره ، ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله ، وقدره ، يوفق الله قلبه بالاحتساب ، والتسليم لأمره ، والرضا بقضائه ، وعوضه الله عما فاتته من الدنيا : هدى في قلبه ، وبقيناً صادقاً ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه ، أو خيراً منه .

وروي عن ابن عباس : ﴿ يعني يهدي قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ﴾ (١٩٩) .

وفي آخر هذه الآية الكريمة ، الأمر بالتوكل ، وأعلى درجات التوكل الرضا بالقضاء .

٤ - ومنها ما في القرآن الكريم أنه - سبحانه - المعطي والذي يجعل المعطى راضياً بما أعطاه ، قال - سبحانه - : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ (٢٠٠) أي : أعطى فأرضى (٢٠١) .

ومن السنة والأثر :

١ - قوله - ﷺ - : ﴿ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ﴾ (٢٠٢) .

وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : ﴿ من قال حين يسمع المؤذن أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام ديناً ، غفر له ذنبه ﴾ (٢٠٣) .

٢ - ومنها : حديث الاستخارة السابق : ﴿ اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر - ثم تسميه بعينه - خيراً لي في عاجل أمري وآجله ، قال : أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدري لي ، ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ، أو قال : في عاجل أمري ، وآجله ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضي به ﴾ (٢٠٤) .

ففي هذا الحديث : بيان حاجة العبد إلى فعل ما ينفعه في معاشه ، ومعاده ، وعلم ما فيه مصلحته ، وتيسير الله له ما قدره له من الخير ، فهو القادر - سبحانه وتعالى - على كل شيء ، والعبد عاجز إن لم ييسر الله له ما فيه مصلحته ، ولذلك أرشده النبي - ﷺ - إلى طلب فضله - سبحانه - وتيسيره ، ثم إذا اختاره له بعلمه ، وأعانه عليه بقدرته ، ويسره له من فضله ، فهو يحتاج إلى البقاء عليه ، وثبوت هذا الفضل ، ونموه ، ثم إذا فعل ذلك كله فهو محتاج إلى أن يرضيه ، فإنه قد يهيء له ما يكرهه فيظل ساخطاً والخيرة فيه .

٣ - ومنها : ما أخرج مسلم عن أنس أن رسول الله - ﷺ - قال : ((ولد لي الليلة غلام فسميته بأبي إبراهيم)) ، ثم دفعه إلى أم سيف ، امرأة قين يقال له : أبو سيف ، فانطلق يأتيه واتبعته . فانتهينا إلى أبي سيف ، وهو ينفخ بكيره قد امتلأ البيت دخاناً ، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله - ﷺ - فقلت : يا أبا سيف ، أمسك ، جاء رسول الله - ﷺ - فأمسك ، فدعا النبي - ﷺ - بالصبي فضمه إليه ، وقال : ماشاء الله أن يقول . قال أنس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله - ﷺ - فدمعت عينا رسول الله - ﷺ - فقال : ﴿ تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولانقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك نحزون ﴾ (٢٠٥) .

٤ - ومنها : ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : كنت خلف النبي - ﷺ - يوماً فقال : ((يا غلام ، إنني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ﴾ (٢٠٦) .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله - ﷺ - لابن عباس (٢٠٧) : ﴿ يا غلام ، أو يا غليم ، احفظ عني كلمات ، لعل الله أن ينفعك بهن : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، احفظ الله في الرخاء يحفظك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فلو جهد الخلاق لم يعطوك شيئاً لم يقدره الله - عز وجل - لك ما استطاعوا ، أو يمنعوك شيئاً قدره الله لك ، ما استطاعوا ذلك ، اعمل باليقين مع الرضا ، واعلم أن مع العسر يسراً ، واعلم أن مع العسر يسراً ﴾ .

وفي معنى هذا الحديث ما روي عن الوليد بن عباد ، قال : دخلت على أبي ، وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني ، واجتهد لي ، فقال : أجلسوني ، فلما أجلسوه ، قال : يا بني ، إنك لن تجد طعم الإيمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله - تبارك وتعالى - حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت : يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إن أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة ، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار ﴿٢٠٨﴾ .

٥ - ومنها : ما ورد في قصة إسماعيل وأمه وأبيه وزوجته : عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم ، وبابنها إسماعيل ، وهي ترضعه ، حتى وضعها عند البيت ، عند دوحه فوق زمزم ، في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جراباً^(٢٠٩) فيه تمر ، وسقاء ، فيه ماء ، ثم قفى^(٢١٠) إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آله الذي أمرك بهذا ، قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . وفي الرواية الأخرى : قالت : رضيت بالله .

ثم رجعت فانطلق إبراهيم ، حتى إذا كان عند الثنية ، حيث لا يرونه ، استقبل بوجه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه ، فقال : ﴿ رَبَّنَا

إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴿٢١١﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿٢١٢﴾ يَشْكُرُونَ ﴿٢١١﴾ ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، أو قال : يتلبط (٢١٢) .

فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي ، تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي - ﷺ - : ﴿ فذلك سعي الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت ، قد أسمعت إن كان عندك غواث (٢١٣) ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه (٢١٤) ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف ﴾ .

قال ابن عباس : قال النبي - ﷺ - : ﴿ يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً . قال : فشربت ، وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لاتخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله ، يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم (٢١٥) ، أو أهل بيت من جرهم ، مقبلين من طريق

كداء^(٢١٦) ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً^(٢١٧) ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ؛ لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين^(٢١٨) ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا ، قال : وأم إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ ، فقالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم ﴿ ٢١٩ ﴾ .

قال ابن عباس : قال النبي - ﷺ - : ﴿ فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام ، وتعلم العريّة منهم ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل ، يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم ، وهيئتهم ، فقالت : نحن بشرّ ، نحن في ضيق ، وشدة ، فشكت إليه^(٢١٩) ﴾ .

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة^(٢٢٠) بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس^(٢٢١) شيئاً ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم . جاءنا شيخ ، كذا وكذا ، فسألنا عنك ، فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة ، قال : فهل أوصاك بشيء ، قالت : نعم ؛ أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك . قال ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك ، فطلقها ، وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله .

ثم أتاهم بعد ، فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم وسألها عن عيشهم ، وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير ،

وسعة، وأثنت على الله (٢٢٢)، فقال : ما طعامكم ، قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ، قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبي - ﷺ - : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك ، فاقرني عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل ، قال : هل أتاكم من أحد ، قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه ، فسألني عنك ، فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير ، قال : فأوصاك بشيء ؟ ، قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله .

ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبكي نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة (٢٢٣) مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر ، فوضعه له ، فقام عليه ، وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٢٤) قال : فجعلا يبنيان ، حتى يدروا حول البيت ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٢٥) .

٦ - قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - : ﴿ إِذَا قَضَى اللَّهُ قِضَاءً أَحَبَّ أَنْ يَرْضَى بِقِضَائِهِ ﴾ (٢٢٦) .

٧ - وعن أبي العلاء مطرف بن عبد الله المشهور بابن الشخير - رضي

الله عنه - ، يرفعه إلى النبي - ﷺ - قال : ﴿ إذا أراد الله بعبد خيراً أَرْضَاهُ بما قسم له ، وبارك له فيه ، وإذا لم يرد به خيراً لم يُرضه بما قسم له ، ولم يبارك له فيه ﴾ (٢٢٧) .

٨ - وقال الشعبي : سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر ، يرفعه إلى رسول الله - ﷺ - يقول : ﴿ إن موسى - عليه السلام - سأل ربه ، فقال : أي رب ، أي أهل الجنة أدنى منزلة ؟ قال : رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنة ، فيقال له : ادخل . فيقول : كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ قال : فيقال له : أترضى أن يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا ؟ ، فيقول : نعم ، أي رب ، قد رضيت ، فيقال له : فإن لك هذا وعشرة أمثاله ، فيقول : رضيت أي رب ، فيقال : فإنه لك مع هذا ما اشتئت نفسك ولذت عينك ﴾ (٢٢٨) .

٩ - وعن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : ﴿ إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس ﴾ (٢٢٩) .

١٠ - وروي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : ﴿ إن من رأس التواضع أن ترضى بالدون من شرف المجلس ، وأن تبدأ بالسلام من لقيت ، وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء بالبر ﴾ (٢٣٠) .

١١ - وروي أن عبدالعزيز بن أبي رواد (٢٣١) قال : ﴿ كان يقال : من رأس التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس ﴾ (٢٣٢) .

١٢ - وجاء في كتب أهل الكتاب ، في وصف أمة أحمد - ﷺ - : ﴿ علماء ، حكماء ، أبرار ، أتقياء ، كأنهم من الفقه أنبياء ، يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم اليسير من العمل ، يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله ﴾ (٢٣٣) .

والأدلة كثيرة :

منها : أدلة التوكل على الله من الكتاب والسنة ؛ لأن الرضا ثمرة التوكل ، وهو أعلى درجاته .

ومنها : أدلة الإيمان بالقضاء والقدر ، ومراتبه فإن الإيمان الصادق بقضاء الله وقدره يشمر الرضا به .

ومنها : أدلة الشكر ، التي منها قوله - تعالى - : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (٢٣٤) ، فالشكر مقام أعلى من الرضا بالقضاء ، فهو متضمن للرضا ، والشكر ينتظم الرضا انتظاماً .

ومنها : أدلة الفرح بفضل الله ، وبرحمته ، مثل قوله - سبحانه - : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (٢٣٥) ؛ لأن الفرح أعلى من الرضا ، فالرضا داخل في الفرح .

ومنها : أدلة الزهد ، والقناعة ، وغيرها .

الرضا وفعل الأسباب

العبدُ دائرٌ بين مأمور بفعله ، ومحذور بتركه ، فوظيفته ، أو عمله ، أو ما يجب فعله : فعل المأمور ، واجتناب المنهي ، وهو بهذا يفعل الأسباب المأمور بها ، ويترك المنهي عنها .

ومن الأسباب التي لا بد له من فعلها - أي هو مأمور بها - : ما يحفظ حياته من الطعام ، والشراب ، واللباس ، والمسكن ، وكذلك الأسباب الموجبة لبقاء نوع الإنسان من النكاح والتسري ، وما يحافظ على عقله ، وماله ، وغير ذلك من ضرورات الحياة ، بل وكل الأمور التي تحافظ على عقله ودينه .

وتعطيل شيء مما أمر الله به ، أو الوقوع فيما نهى الله عنه ، يفسد حياته ، وآخرته .

ولا يكون فعل الأسباب مانعاً من الرضا ، بل هي من الرضا بقضاء الله وقدره ، ولا يتحقق الرضا بالقضاء إلا بفعل الأسباب المأمور بها .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ، جَزَاءُؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَذْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (٢٣٦) .

وقال - سبحانه - : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٣٧) .

وغيرهما من الآيات الكثيرة ، التي تدل على أن فعل الأسباب من الإيمان ، والعمل الصالح ، بكل أنواعه ، وأشكاله ، وكيفياته ، ومنه الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحب في الله ، والبغض فيه وله ، والجهاد في سبيل الله ، وابتغاء الرزق الحلال من غير جشع ، أو طمع ، يوقع فيما يغضب الله ، أو يخالف أمره ، وشرعه ، والإنفاق في وجوه الخير ، وغير ذلك من العبادات : الواجبات والمسنونات والمستحبات .

وكما قيل : ﴿ من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه ﴾ (٢٣٨) .

ومن قال ، أو ظن ، أو فهم ، أن الرضا ترك التدبير ، أو ترك الأسباب ، فقد طعن في الشريعة التي جاء بها محمد - ﷺ - ، وأن الله - عز وجل - يقول: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (٢٣٩) والغنيمة : اكتساب .
وقال تعالى : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَغْنَاكِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٢٤٠)
فهذا عمل .

وكان أصحاب رسول الله - ﷺ - أحرص ما يكون على العمل ، ولما قال النبي - ﷺ - : ﴿ ما منكم من أحد ، وما من نفس منقوسة : إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا كتبت شقية ، أو سعيدة ، قال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ، وندع العمل ؟ قال : اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له ، وقرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (٢٤١) ﴿ (٢٤٢) .

فالرضا والتسليم لله ، والإيقان بأن قضاء الله وقدره ماض ، واتباع سنة الرسول - ﷺ - في السعي فيما لا بد منه من الأسباب ، من مطعم ومشرب ، وتحرز من عدو ، وإعداد الأسلحة ، واستعمال ما تقتضيه سنة الله - تعالى - المعتادة : هو الحق والصواب ، والخير والفلاح للعبد في ذلك ، والدعاء وطلب الدواء من فعل الأسباب ، التي يستحب عملها ، وذلك لا ينافي الرضا ، أو الاتصاف بالصبر المحمود .

شبهة ورد :

الإلحاح في الدعاء ، أو المبالغة فيه : يقدح في الرضا .
والجواب : إذا كان يلح في الدعاء للحصول على أغراضه ، وحظوظه العاجلة الفانية الدنيوية ، مثل المال والجاه ، من غير سكون القلب بما قسم الله ،

وغير ذلك ، فإن ذلك يقدر في الرضا^(٢٤٣) .

وأما إذا ألح على الله في سؤاله بما فيه رضاه والقرب منه ، فإن ذلك لا يقدر في مقام الرضا أصلاً ، بل هو من الرضا بالقضاء الشرعي الديني ؛ لأن الله قال : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٢٤٤) ، وقال - سبحانه - : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾^(٢٤٥) ، وقال : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾^(٢٤٦) ، وقال عز وجل : ﴿ اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾^(٢٤٧) ، والآيات في هذا كثيرة .

وفي الحديث : ﴿ لما كان يوم بدر قال : نظر النبي - ﷺ - إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي - ﷺ - القبلة ، ثم مد يديه ، وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : ((اللهم أين ما وعدتني ، اللهم أنجز ما وعدتني ، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً ، قال : فما زال يستغيث ربه - عز وجل - ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر - رضي الله عنه - فأخذ رداءه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله : كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . وأنزل الله - عز وجل - : ﴿ إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾^(٢٤٨) ، الحديث^(٢٤٩) .

وكذلك الحديث السابق : ﴿ ... فاقدر لي الخير كله ، ثم رضي به ﴾ ، وعند الترمذي وغيره : ﴿ من لا يسأل الله يغضب عليه ﴾^(٢٥٠) ، فإذا كان سؤال الله يرضيه ، لم يكن الإلحاح فيه منافياً لرضاه^(٢٥١) .

أما سؤال العباد ، والغضب للنفس ، فإن ذلك يطفىء الرضا ، ويذهب بهجته ، وتبدل حلاوته مرارة ، ويتكدر صفوه^(٢٥٢) .

ومن قال من الصوفية : إن الدعاء بكشف البلاء يقيدح في الرضا والتسليم .

فالجواب عليه : إن الطلب من الله ليس ممنوعاً ، بل هو عبادة من أجل العبادات أمر الله بها كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢٥٣) .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٥٤) .

والاشتغال بالذكر والدعاء استغناء بما يقسمه الله للعبد ويقدره له ، ويفعله به ، وهو أفضل من السؤال ، ويعطى الذاكر أفضل مما يعطاه السائل ، كما في الحديث : ﴿ من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطيت السائلين ﴾ (٢٥٥) .

وذلك أن السائلين سألوه ، فأعطاهم الفضل الذي سألوه ، أمّا الراضون فرضوا عنه ، فأعطاهم رضاه عنهم ، وهذا ليس معناه أن تمنع العبد سؤال أسباب الرضى ، بل إن أصحابه ملحون في سؤال الله ذلك (٢٥٦) .

منزلة الرضا وفضله

بلوغ مقام الرضا لا يكون بالتحلي ولا بالتمني ، كما ورد في الأثر عن الإيمان : ﴿ ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ﴾ (٢٥٧) .

وليس بالادعاء والكبرياء ، كما في قصة قارون لما وعظه قومه بشأن ماله ، فقال لهم : إِنَّمَا أُوتِيتَ هَذِهِ الْكُنُوزَ عَلَى فَضْلِ عِلْمٍ عِنْدِي ، عِلْمُهُ اللَّهُ مِنِّي ، فَرَضِي بِذَلِكَ عَنِّي ، وَفَضْلِي بِهَذَا الْمَالِ عَلَيْكُمْ ، لَعَلَّمَهُ بِفَضْلِي عَلَيْكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢٥٨) .

وفي تفسير الطبري في قوله : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ قال : ﴿ لَوْلَا رِضَا اللَّهِ عَنِّي ، وَمَعْرِفَتُهُ بِفَضْلِي ، مَا أَعْطَانِي هَذَا ﴾ (٢٥٩) .

فليس المال وكثرته وحده هو الذي يبلغ به العبد درجة الرضا ، فكم مع قارون ؟ وكم ملك قارون ؟ وما أغنى عنه شيئاً ، وما رضي عن الله ، ولا بقضائه ، لقد تمنى من تمنى ممن رأى قارون في زينته ، وماله ، وجبروته ، أن يحصلوا على ما حصل عليه ، فقالوا : ﴿ يَأْتِيَتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٢٦٠) .

وظنوا أنه بلغ مقام الرضا ، ولكن الله أخبر أن المال ليس بدليل على رضا الله عن صاحبه ، فإن الله يعطي ويمنع ، ويضيق ويوسع ، ويخفض ويرفع ، وله الحكمة التامة - سبحانه - ، والحجة البالغة .

ولهذا لما أدرك المتمنون ما حصل لقارون ، وأنه بعيد كل البعد عن رضا الله أولاً ، والرضا بما أعطاه قالوا : ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَّانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢٦١) ، فلولا لطف الله بنا ، وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به (٢٦٢) .

والرضا حال من أحوال أهل الجنة ، لا يفارق صاحبه المتحلي به في الدنيا ،
مادام مع أمر الله راضياً بقضائه في الدنيا ، وفي الآخرة ، كما في الآيات
والأحاديث السابقة (٢٦٣) .

فالرضا بالقضاء من تمام الإيمان بالقضاء والقدر (٢٦٤) .

والرضا غاية يسعى لها المؤمن الصادق ، كما في حديث الاستخارة السابق :
﴿ ... واقدر لي الخير حيث كان ثم رضي به ﴾ .

ولهذا كان النبي - ﷺ - يدعو في صلاته أن يعطيه الله الرضا بعد القضاء ،
كما في حديث عمار ابن ياسر - رضي الله عنه - السابق : ﴿ وأسألك الرضا
بعد القضاء ﴾ .

والرضا بالقضاء له منزلة عظيمة عند الله - تعالى - ، ولذلك فإن ثوابه
عظيم أيضاً ، كما في الحديث ، الذي أخرجه الترمذي وغيره عن أنس بن مالك
- رضي الله عنه - : ﴿ وإن الله - تعالى - إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن
رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط ﴾ (٢٦٥) .

فهو من منازل الشهداء ، كما في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك -
رضي الله عنه - قال : جاء ناس إلى النبي - ﷺ - فقالوا : أن ابعث معنا رجلاً
يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم :
القراء ، فيهم خالي حرام ، يقرؤون القرآن ، ويتدارسونه بالليل ، يتعلمون ،
وكانوا بالنهار يجيئون بالماء ، فيضعونه بالمسجد ، ويحتطبون ؛ فيبيعونه ،
ويشترون به الطعام لأهل الصفة (٢٦٦) ، وللفقراء ، فبعثهم النبي - ﷺ - إليهم ،
فعرضوا لهم ، فقتلوهم ؛ قبل أن يبلغوا المكان ، فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا ، أنا
قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا ، قال : وأتى رجل حراماً ، خال أنس ،

من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام : فزت ورب الكعبة ! فقال رسول الله - ﷺ - لأصحابه : ﴿ إن إخوانكم قد قتلوا ، وإنهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا ﴾ (٢٦٧) .

وهو من سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة ، كما في حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - : ﴿ من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له ﴾ (٢٦٨) .

وقيل : إن الله جعل الروح والفرح في الرضا بقضاء الله - تعالى - كما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ لا ترضين أحداً بسخط الله ، ولا تحمدن أحداً على فضل الله ، ولا تظمن أحداً على ما لم يرد الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهة كاره ، وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والراحة والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في السخط ﴾ (٢٦٩) .

و ﴿ الرضا من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات ﴾ (٢٧٠) .
ومرتبة الإحسان هي أعلى مراتب الدين ، كما في حديث جبريل - عليه السلام - المشهور (٢٧١) .

وروي أن أبا الدرداء قال : ﴿ ذروة الإيمان أربع خلال : الصبر للحكم ، والرضا بالقدر ، والإخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب ﴾ (٢٧٢) .
ومقام الرضا أعلى من مقام الصبر .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ فمقامات الإيمان لا تعدم بالتقل فيها ، بل تدرج وينطوي الأدنى في الأعلى ، كما يندرج الإيمان في الإحسان ، وكما

يندرج الصبر في مقامات الرضا ، لا أن الصبر يزول ، ويندرج الرضا في التفويض ، ويندرج الخوف والرجاء في الحب ، لا أنهما يزولان ﴿٢٧٣﴾ .

ثم إن الرضا من المقامات التي توصل الطمأنينة ؛ لأنها مقام جامع للإنابة والتوكل والرضا والتسليم ، فهي معنى ملتبس من هذه الأمور إذا اجتمعت صار صاحبها صاحب طمأنينة ، وما نقص من هذه الأمور نقص من الطمأنينة ﴿٢٧٤﴾ .

وكم يتمنى العبد الحصول على الطمأنينة فالرضا من الأمور التي تسبب في وصول العبد إليها ، فهو باب الله الأعظم ﴿٢٧٥﴾ .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، ومستراح العارفين ، وحياة المحبين ، ونعيم العابدين ، وقرة عيون المشتاقين ﴾ ﴿٢٧٦﴾ .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ وإن ارتقى إلى الرضا رأى أن الرضا جنة الدنيا ، ومستراح العابدين وباب الله الأعظم ﴾ ﴿٢٧٧﴾ .

وقال الفضيل بن عياض : ﴿ الرضا عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله - تعالى - إلا روح وريحان ﴾ ﴿٢٧٨﴾ .

ومن الكلام الحسن في فضل الرضا ، وبيان منزلته ، ما روي عن الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : ﴿ أمّا بعد ، فإن الخير كله في الرضا ، فإن استطعت أن ترضى وإلا فالصبر ﴾ ﴿٢٧٩﴾ .

وما روي عن الفضيل بن عياض - رحمه الله - : ﴿ الرضا أفضل من الزهد في الدنيا ؛ لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته ﴾ ﴿٢٨٠﴾ .

وسئل أبو سهل محمد بن سليمان^(٢٨١) عن الشكر والصبر أيهما أفضل ، فقال : ﴿ هما في محل الاستواء فالشكر مطية السراء ، والصبر فريضة الضراء ، قال : وقيل : الصبر أسنى الأمرين ؛ لأن الشكر استجلاب واستدعاء ، والصبر استكفاء وارتضاء ، وموضع الرضا يفضل موضع الدعاء ... ﴾^(٢٨٢) .

وروي عن مجاهد عن ابن عباس : ﴿ أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - إنك لم تتقرب إليّ بشيء أحب من الرضا بقضائي ﴾^(٢٨٣) .

وقال الذهبي - رحمه الله - في كتاب الكبائر : ﴿ أجمع سبعون رجلاً من التابعين ، وأئمة المسلمين ، والسلف ، وفقهاء الأمصار ، على أن السنة التي توفي عليها رسول الله - ﷺ - أولها : الرضا بقضاء الله وقدره ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والإيمان بالقدر ، خيره وشره ، وترك المرء ، والجدال ، والخصومات في الدين ... ﴾^(٢٨٤) ١ هـ .

ومِمَّا قيل في فضل الرضا بالقضاء :

وما لي من عبد ولا من وليدة	وإني لفي فضل من الله واسع
بنعمة ربي ما أريد معيشة	سوى قصد حال من معيشة قانع
ومن يجعل الرحمن في قلبه الرضا	يعش في غنى من طيب العيش واسع
إذا كان ديني ليس فيه غميرة	ولم أشره في بعض تلك المطامع
ولم أبتع الدنيا بدين أبيعه	وبائع دين الله من شر بائع
ولم تشتملني مرديات من الهوى	ولم أتخشع لامرئ ذي بضائع
جموع لشر المال من غير حله	ضنين بقول الحق للزور رافع ^(٢٨٥)

ومن الشعر أيضاً :

ولا تجزعي يا نفس من نازل جرى بتقدير خلاق إليه البرية
فإن الرضا والصبر في كل محنة لمن أخلاق أصحاب النفوس الرضية^(٢٨٦)

أنواع القضاء وحكم الرضا به

القضاء ثلاثة أنواع :

١ - القضاء الديني .

٢ - القضاء الكوني .

٣ - القضاء الذي هو وصف الله تعالى .

وهذا النوع الثالث الذي هو وصف الله سبحانه ونفس فعله كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته وإرادته ، فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالِكاً ومدبراً^(٢٨٧) .

ولا سبيل إلى إدراك كيفية الربوبية - الصفات - بالعقول .

فلابد في ذلك من الرضا والتسليم ، والإيمان والتصديق ، من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٢٨٨) ، وكما قال الإمام مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - وشيخه ربيعة ، ومن قبلهما ، ومن بعدهما من السلف الصالح - رحمهم الله - : ﴿ الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عن الكيفية بدعة ﴾^(٢٨٩) .

فالعباد لا يدركون ، ولا يعرفون كيفية صفاته - سبحانه وتعالى - .

ومن صفاته أيضاً : الرضا ، والرضا صفة الرب - سبحانه وتعالى - على ما يليق به ، كما يدل عليها قوله - تعالى - : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ (٢٩٠) ، وغيرها من الآيات ، والأحاديث التي أثبت فيها - سبحانه وتعالى - لنفسه هذه الصفة ، وأثبتها له رسوله ﷺ ، وقد أفردت هذه الصفة ﴿ صفة الرضا ﴾ في بحث مستقل سميته : ﴿ صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل ، وأثر الإيمان بها في حياة المسلم ﴾ .

فالقضاء الذي هو الحكم ، أو القدر ، أو المقضي ، هو إما ديني ، أو كوني ، كما سبق ، وسيكون الحديث هنا عن هذين النوعين :
أولاً : القضاء الديني :

وهو الشرعي ، أو ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

فما شرعه الله لعباده ، وأمرهم به ، ونهاهم عنه في كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله محمد - ﷺ - هو ما قضاه الله ، وأمر به شرعاً ، وكذلك ما نهى عنه ، في كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله - ﷺ - .

وما أمر به - سبحانه - أو قضاه هو المذكور في حديث شعب الإيمان ﴿ فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ﴾ (٢٩١) .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٢٩٢) ، وقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٢٩٣) .

وهذا القضاء هو المذكور في قول الله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٢٩٤) .

قال ابن تيمية - رحمه الله - عن هذه الآية : ﴿ وذكر الرسول هنا يبين أن الإيتاء هو الإيتاء الديني الشرعي لا الكوني القدري ﴾ (٢٩٥).

وفي الحديث الصحيح السابق عن العباس بن عبدالمطلب أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول : ﴿ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ﴾ .

وفي صحيح مسلم - أيضاً - عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : ﴿ من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام ديناً ، غفر له ذنبه ﴾ .

ومدار رحي الإسلام على هذين الحديثين الذي معناهما : أن يرضى العبد بعبادة ربه وحده ، وأن يسخط عبادة غيره ، والعبادة هي الحب مع الذل . فكل من ذل الإنسان له - غير الله - ، وأطاعه ، مع حبه له ، وحبه لأمره فقد عبده ، وهذا شرك أكبر ، لا يظهره إلا الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد - ﷺ - رسولاً .

وهذه الأمور الثلاثة المذكورة في الحديثين هي أركان التوحيد : ألا يتخذ سواه رباً ، ولا إلهاً ، ولا غيره حكماً .

قال الله - تعالى - : ﴿ أَغْيِرَ اللَّهُ أُمَّتِي حَكَمًا ﴾ (٢٩٦) . وقال - سبحانه - : ﴿ أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ (٢٩٧) يعني معبوداً ، وناصرًا ، ومعيناً ، وملجأ ، وهو ما يتضمن الحب والطاعة .

وقال - عز وجل - : ﴿ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢٩٨) .

ولو تأملت الآيات الثلاث لرأيتها نفس الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ،
وبمحمد رسولاً .

فحقيقة الرضا بالله رباً ... أن يترك ويسخط عبادة ما دون الله من الآلهة
الباطلة ، ويعبد الله وحده حباً ، وخوفاً ، ورجاء ، وتعظيماً ، وإجلالاً .
فجميع أقوال اللسان وأعماله ، وأقوال القلب وأعماله ، تنبني على توحيد
الله - عز وجل - وعبادته ، وسخط عبادة ما سواه .

فهو المحبوب وأمره المحبوب ، وبهذا يجد العبد حلاوة الإيمان ، كما قال
رسول الله - ﷺ - : ﴿ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن
يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار ﴾ (٢٩٩) .
لكن كثير من الناس يرضي بالله رباً ، ولا يبغي رباً سواه ، لكنه لا يرضى به
وحده ولياً وناصرأ ، بل يوالي من دونه أولياء طناً منه أنهم يقربونه إلى الله ،
وأن موالاتهم كموالاته خواص الملك ، وهذا عين الشرك ، بل التوحيد : أن
لا يتخذ من دونه أولياء ، والقرآن مملوء من وصف المشركين بأنهم اتخذوا من
دونه أولياء .

وهذا غير موالاته أنبيائه ورسله ، وعباده المؤمنين فيه ، فإن هذا من تمام
الإيمان ومن تمام موالاته .

فموالاته أوليائه لون واتخاذ الولي من دونه لون ، ومن لم يفهم الفرقان بينهما
فليطلب التوحيد من أساسه ؛ لأن هذه المسألة أصل التوحيد وأساسه .
وكثير من الناس يبتغي غيره حكماً ، يتحاكم إليه ، ويخاصم إليه ، ويرضى
بحكمه .

وفي المنهيات وتركها الخير كل الخير للمؤمن ، فإذا نهى عن شيء ، ولو رأى أنه بحاجة ، أو يحبه ، أو غير ذلك ، فإنه إن تركه تنفيذاً لنهى الله عنه ، أو نهى رسوله ، عوضه الله خيراً ، كما في الحديث : ﴿ إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه ﴾ (٣٠٠) .

وقال سفيان - رحمه الله - : ﴿ إنه بلغني أنه ليس أحد يدع من الدنيا شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً من ذلك ﴾ (٣٠١) .

فعلى المؤمن أن يرضى بطاعة الله عن معصيته ، وأن يترك المعصية لله - تعالى - يكتب له الأجر ، ويرضى الله عنه ، فيكون له الرضى .

وقد روي عن أبي سليمان الداراني المتصوف : ﴿ إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض ﴾ (٣٠٢) .

قال ابن تيمية - رحمه الله - معلقاً على هذا القول : ﴿ وذلك أن العبد إنما يمنعه من الرضا والقناعة طلب نفسه لفضول شهواتها ، ... ، فإذا سلا عن شهوات نفسه رضي بما قسم الله له من الرزق ﴾ (٣٠٣) .

وهذا معناه الطمأنينة إلى أحكام الله ، وأوامره ، والانتفاء عما نهى الله عنه .

وقد ذم الله تارك الرضا بما أمر به ، وفاعل ما نهى عنه في نصوص كثيرة منها :

قوله - تعالى - : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (٣٠٤) .

وقوله - سبحانه - : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ (٣٠٥) .

وقوله - عز وجل - : ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣٠٦).

ومن الناس من يبعد عن الأمر الشرعي ، ويسترسل حتى ينسلخ من الإسلام بالكلية ، ويبقى واقفاً مع هواه والقدر .

ومن هؤلاء من يموت كافراً ، ومنهم من يتوب فيتوب الله عليه ، ومنهم من يموت فاسقاً ، ومنهم من يتوب فيتوب الله عليه .

وهؤلاء ينظرون إلى الحقيقة القدرية ، معرضين عن الأمر الشرعي .

ولا بد لهم مع ذلك من اتباع أمر ونهي غير الأمر الشرعي ، إما من أنفسهم، وإما من غير الله ورسوله ، إذ الاسترسال مع القدر مطلقاً ممتنع لذاته ؛ لأن العبد مفطور على محبة أشياء ، وبغض أشياء ، وإن من يتولى عن الرضا بما جاء به محمد - ﷺ - فإن العقوبة ووقوع المصائب على المتولي غير بعيدة في عاجل الدنيا ، فترك الرضا بأمر الله ، وأمر رسوله ، سبب وقوع المصائب ، والعقوبات العاجلة والآجلة ، كما قال الله في شأن اليهود : ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٣٠٧).

قال ابن جرير في تأويل هذه الآية : ﴿فاعلم أنهم لم يتولوا عن الرضا بحكمك ، وقد قضيت بالحق إلا من أجل أن الله يريد أن يتعجل عقوبتهم في عاجل الدنيا ، ببعض ما قد سلف من ذنوبهم﴾ (٣٠٨).

حكم الرضا بالقضاء الشرعي الديني :

الرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب من لوازم الإسلام (٣٠٩) ، بل إنه أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان .

فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ، ولا منازعة ، ولا معارضة ، ولا اعتراض ، يدل على ذلك قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣١٠) .

فقد جاء القسم في هذه الآية مؤكداً أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسول الله في كل شيء ، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه - ﷺ - وحتى يسلموا لحكمه تسليماً ما بعده منازعة ، ولا معارضة ، ولا اعتراض ، وهذا حقيقة الرضى بحكمه - ﷺ (٣١١) - .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ فالتحكيم في مقام الإسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان ، والتسليم في مقام الإحسان ﴾ (٣١٢) .

فعلى الناس أن يرضوا بما أمر الله به ، فليس لأحد أن يسخط ما أمر الله به ، كما في الآية الكريمة (٣١٣) ، وكما في الحديث : ﴿ وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب ﴾ (٣١٤) انقلبت النفوس الأماراة بالسوء إلى نفوس لوامة على المعاصي ، ثم إلى نفوس راضية ، وادعة ، تتلقى أحكام ربها بصدور واسعة منشرحة ، وهذا هو الرضا بالقضاء الديني المحبوب لله - عز وجل - ولرسوله - ﷺ - .

ولما نزلت على رسول الله - ﷺ - ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَافُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣١٥) قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله - ﷺ - فأتوا رسول الله - ﷺ - ثم بركوا على الركب ، فقالوا : أي رسول الله ، كلفنا من الأعمال ما نطبق ، الصلاة ، والصيام ،

والجهاد ، والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ، ولانطيقها ، قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا ، وعصينا ، بل قولوا : سمعنا ، وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ، قالوا : سمعنا ، وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير ، فلما اقترأها القوم ، ذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في إثرها ﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣١٦) ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله - تعالى - فأنزل الله - عز وجل - ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال : نعم . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قال : نعم . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال : نعم . ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣١٧) قال : نعم ﴿ (٣١٨) .

قال ابن القيم - رحمه الله - في حكم الرضا بالقضاء الشرعي ، أو الديني : ﴿ ... حكم شرعي ديني ، فهذا حقه أن يتلقى بالمسألة والتسليم ، وترك المنازعة ، بل بالانقياد المحض ، وهذا تسليم العبودية المحضة ، فلا يعارض بذوق ، ولا وجد ، ولا سياسة ، ولا قياس ، ولا تقليد ، ولا يرى إلى خلافه سبيلاً البتة ، وإنما هو الانقياد المحض ، والتسليم ، والإذعان ، والقبول ، فإذا تلقى بهذا التسليم ، والمسألة ، إقراراً ، وتصديقاً بقي هناك انقياد آخر ، وتسليم آخر ، له إرادة وتنفيذاً وعملاً ، فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه ، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره ، وهذا حقيقة القلب السليم ، الذي

سلم من شبهة تعارض الحق ، وشهوة تعارض الأمر ، فلا استمتع بخلاقه ، كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات ، ولا خاض في الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات ، بل اندرج خلاقه تحت الأمر ، واضمحل خوضه في معرفته بالحق ، فاطمأن إلى الله ، معرفة به ، ومحبة له ، وعلماً بأمر ، وإرادة لمرضاته ، فهذا حق الحكم الديني ﴿٣١٩﴾ .

﴿ ولم ينازع العلماء أن الرضا بما أمر الله به ورسوله واجب ، محبب ، لا يجوز كراهة ذلك وسخطه ، وأن محبة ذلك واجبة ، بحيث يبغض ما أبغضه الله ، ويسخط ما سخطه الله من المحذور ، ويحب ما أحبه ، ويرضى ما رضى الله من المأمور ﴾ ، كما قال الله - تعالى - : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٣٢٠) .

ثانياً : القضاء الكوني القدري :

والمراد به ما لا يتعلق بالأمر والنهي ، فهو القدر ، أو المراد كوناً وقدرًا ، فما شاء الله قدرًا من غير اشتراط محبته إياه ، أو الرضا به ، يدخل في الكوني ، فيدخل فيه الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، والمحبوب والمكروه ، فكل ما يقع بمشيئته الشاملة لجميع الحوادث يدخل في الكوني القدري ، وهذا ما يعبر عنه المسلمون بقولهم : ﴿ ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ﴾ (٣٢١) .

ومن ذلك قول ابن تيمية - رحمه الله - :

فما شاء مولانا الإله فإنه يكون ، وما لا يكون بحيلة (٣٢٢)

فما يكون بفعل الله قدراً ، أو من فعل المخلوق بخلق الله وإرادته الكونية القدريّة ، فهو كوني قدري .

ولابد فيه من تحقق مراد الله - تعالى - ، فما أراد الله كوناً وقع ، فلا راد لهذا القضاء أبداً ، قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣٢٣) ، فما يكون من غنى أو فقر ، أو راحة أو تعب ، أو عافية أو سقم ، أو حياة أو موت ، أو إيمان أو كفر ، فهو بقضاء الله وقدره الكوني .

وعلم ذلك قبل وقوعه وبعد وقوعه عند الله - تعالى - ومكتوب في اللوح المحفوظ ، ومقدر : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢٤) .

فإذا وقع المقدر المعلوم ، فهو بمشيئة الله وقدره ، وإرادته : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٣٢٥) ، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٢٦) يخلق ما يخلقه بغير سبب معلوم لنا ، أو بسبب معلوم لنا ، فهو القادر - سبحانه - على أن يقول للشيء كن فيكون ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣٢٧) .

والقضاء الكوني القدري على ثلاثة أقسام :

الأول : قسم موافق لحجة العبد وإرادته ، ورضاه ، من صحة ، وغنى ، وعافية ، ولذة .

فهذا أمر لازم بمقتضى الطبيعة ، لأنه ملائم للعبد ، محبوب له ، فليس في الرضا به عبودية ، لكن العبودية فيه مقابلته بالشكر ، والاعتراف بالمنة ، ووضع النعمة في المواضع التي يحب الله - تعالى - أن توضع فيها ، وأن لا يعصي العبد بها المنعم - سبحانه وتعالى (٣٢٨) - .

فيجب الرضا بذلك ، ويجب شكرها ؛ لأن الرضا بالمنعم من تمام شكرها وبركتها ، كما قال الله - تعالى - : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (٣٢٩) .
الثاني : ما جاء على خلاف مراد العبد ومحبه ، مما لا يلائمه ، ولا يدخل تحت اختياره .

وذلك مثل المرض ، والفقر ، وأذى الخلق ، والحر والبرد ، والآلام ، ونحو ذلك من المصائب التي تصيب العبد المؤمن .

فالمؤمن من أكثر الناس بلاء ، ولكنه أعظمهم قدراً ، والمصائب ابتلاء ، واختبار للعبد ، أيرضى أم يسخط ، ويتلى المؤمن على قدر إيمانه .

وقد ورد في الحديث الصحيح : ﴿ من يرد الله به خيراً يصب منه ﴾ (٣٣٠) .
فمن يثبت مع المصائب ، ويصبر ، ويحتسب ، ويرضى بقضاء الله - تعالى - وقدره ، يبلغ المنى ، وتكفر خطاياها ، كما في الصحيح : ﴿ ما من مسلم يشاك شوكاً فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة ، وحط بها عنه خطيئة ﴾ (٣٣١) .

وفي الحديث أيضاً : ﴿ ما ضرب من مؤمن عرق إلا حط الله عنه به خطيئة ، وكتب له به حسنة ، ورفع له به درجة ﴾ (٣٣٢) .

وفي صحيح مسلم : ﴿ ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته ، كما تحط الشجرة ورقها ﴾ (٣٣٣) .

وفي جامع الترمذي كما سبق : ﴿ إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ﴾ .

وورد عن عمرو بن قيس في تفسير قبول الله - تعالى - : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (٣٣٤) قال : ﴿ الرضا بالمصيبة والتسليم ﴾ (٣٣٥) .

والرضا هو بحسب معرفة العبد بعدل الله ، وحكمته ، ورحمته ، وحسن اختياره ، فكلما كان بذلك أعرف كان به أَرْضَى .

فقضاء الله - سبحانه - في عبده دائر بين العدل والمصلحة ، والحكمة والرحمة ، لا يخرج عن ذلك البتة ، كما قال رسول الهدى - ﷺ - في الدعاء المشهور عن ابن مسعود : ﴿ اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي ، ما قالها أحد قط إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانه فرحاً ﴾ قالوا : أفلا نتعلمهن يا رسول الله ؟ قال : ﴿ بلى ينبغي لمن يسمعهن أن يتعلمهن ﴾ (٣٣٦) .

فقوله - ﷺ - : ﴿ عدل في قضاؤك ﴾ يتناول كل قضاء يقضيه الله على عبده ، من عقوبة ، أو ألم ، وسبب ذلك فهو - سبحانه - الذي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، ﴿ وليس ذلك إلا للمؤمن ﴾ ، كما في الحديث : ﴿ عجت للمؤمن ، لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيراً له ﴾ (٣٣٧) .

وعن صهيب قال : قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان

خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ﴿٣٣٨﴾ .

فيدخل في ذلك الذنب بشرطه ، وهو ما يترتب عليه من الآثار المحبوبة لله ، من التوبة ، والانكسار ، والندم ، والخضوع ، والذل ، والبكاء ، وغير ذلك . وأجر المصائب إنما هو على الصبر والرضا بالقضاء ، لا على المصيبة : الصبر والرضا عظم التكفير والأجر ، أما المصيبة فقد تكون تارة كفارة للذنوب يوازئها ، أو دفعاً لمصيبة أعظم منها^(٣٣٩) ، كما في الأحاديث الآتفة الذكر ، وغيرها .

وعلى هذا فالمصائب رحمة ، ونعمة في حق عموم الخلق ، إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاص أعظم مما كان قبل ذلك ، فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه ، فهذا تكون العافية من المصائب خير له من جهة ما أورثته المصيبة ، لا من جهة المصيبة ، كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية ، فهي بعينها فعل الرب - عز وجل - ، رحمة للخلق ، والله - سبحانه - محمود عليها^(٣٤٠) .

أما الجزع من القضاء ، أو النياحة^(٣٤١) ، أو الحلق^(٣٤٢) ، أو الشق^(٣٤٣) ، أو الصلق^(٣٤٤) ، فإن هذا يشعر بعدم الرضا بالقضاء ، ومناف له ، وترك للصبر على المصائب^(٣٤٥) ، كما سيأتي - إن شاء الله - .

ويجوز التألم من الأمراض ، والأوجاع ، والإخبار بما يجده الإنسان من ذلك ، كالإخبار بما يجده من الجوع والفقر ، من غير ضجر ، أو جزع ، أو سخط من ذلك كله ، بل للتسلية والتصبر^(٣٤٦) ، قال الله - تعالى - في حال موسى - عليه السلام - : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَدَاءٌ إِنَّا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾^(٣٤٧) أي : تعباً^(٣٤٨) .

وقد خرج النبي - ﷺ - ذات ليلة فإذا هو بأبي بكر ، وعمر ، فقال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا : الجوع يا رسول الله ، قال : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته فلما رآته المرأة قالت : مرحباً وأهلاً ، فقال لها رسول الله - ﷺ - : أين فلان ؟ قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول الله - ﷺ - وصاحبه ، ثم قال : الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني ، قال : فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المدينة فقال له : رسول الله - ﷺ - : إياك والحلوب ، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شعبوا ورووا ، قال رسول الله - ﷺ - لأبي بكر وعمر : ﴿ والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم ﴾ (٣٤٩) .

وقال الله عنه يعقوب - عليه السلام - : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٥٠) .

وقال الله - تعالى - عن أيوب - عليه السلام - : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ... ﴾ (٣٥١) .

فالتألم والشكوى إلى الله ، لا ينافيان الرضا بالقضاء ، فهما زيادة عبادة الله - تعالى - ، إذا لم يصاحبهما تسخط على المقدور ، ثم إن الألم لا يقدر أحد على رفعه إلا الله ، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك ، فلا يستطيع تغييرها عما جبلت عليه (٣٥٢) .

وفي صحيح البخاري^(٣٥٣) أن عائشة قالت : وا رأساه ... فقال النبي ﷺ - : ((بل أنا وا رأساه)) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ وقد أشكل على بعض الناس اجتماع الرضا مع التألم ، وظن أنهما متباينان ، وليس كما ظنه ، فالمريض الشارب للدواء الكريه متألم به ، راض به ، والصائم في شهر رمضان في شدة الحر متألم بصومه ، راض به ... فالتألم كما لا ينافي الصبر لا ينافي الرضا به . وهذا الخلاف بينهم إنما هو في الرضا بقضائه الكوني ، وأمّا الرضا به رباً ، وإلهاً ، والرضا بأمره الديني ؛ فمتفق على فرضيته ، بل لا يصير العبد مسلماً إلاّ بهذا الرضا ، أن يرضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد - ﷺ - رسولاً ﴾^(٣٥٤) .

فإخبار المريض بشدة مرضه ، وقوة ألمه جائز ، إذا لم يقترن بذلك شيء مما يمنع ، أو يكره ، من التبرم ، وعدم الرضا ، وهذا أثناء المرض .

فعن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه - رضي الله عنهما - قال : دخلت على أبي بكر - رضي الله عنه - في مرضه الذي توفي فيه ، فسلمت عليه وسألته ؛ كيف أصبحت ؟ فاستوى جالساً ، فقلت أصبحت بحمد الله بارئاً ؟ قال : أمّا إني على ما ترى وجع ﴾^(٣٥٥) .

وقال عروة : دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء - يعني بنت أبي بكر وهي أمهما - وأسماء وجعة ، فقال لها عبد الله : كيف تجدينك ؟ قالت : وجعة^(٣٥٦) .

وإذا كان ذلك أثناء المرض فمن باب أولى جواز الإخبار بذلك بعد البرء^(٣٥٧) .

شبهة وجوابها :

بعض الناس يظن أن من شرط الرضى ألا يحس بالألم والمكاره ، وطعنوا فيه وقالوا : هذا ممتنع على الطبيعة ، وإنما هو الصبر ، وإلا فكيف يجتمع الرضى والكراهة ؟ وهما ضدان .

والجواب من وجوه :

١ - أنه لا تناقض بينهما ، فوجود الألم ، وكراهة النفس له لا ينافي الرضى ، كرضى المريض بشرب الدواء الكريه ، ورضى الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظما ، ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح ، وغيرها .

٢ - أن طريق الرضى طريق مختصرة ، قريبة جداً ، موصلة إلى غاية ، ولكن فيها مشقة ، ومع هذا فليست مشقتها بأصعب من مشقة طريق المجاهدة ، ولا فيها من العقبات والمفاوز ما فيها ، وإنما عقبته همة عالية ، ونفس زكية ، وتوطين النفس على كل ما يرد عليها من الله .

ويسهل ذلك إذا وطن نفسه على الرضا بما قدره الله عليه ، ولا يتكلف من الأسباب ما لا طاقة به له (٣٥٨) .

وهذا القسم من الكوني أيضاً على نوعين :

النوع الأول : ما للعبد فيه استطاعة واختيار وإرادة في منازعته ومدافعته

بكل ممكن :

ومثاله الجوع ، والعطش ، أو البرد ونحو ذلك ، فإن العبد يترك الانقياد له ، ومسالته ، ويدفعه بقدر آخر من الأكل والشرب واللباس ونحوه .

فإذا وقع حريق - مثلاً - في دار ، أو متجر ، أو مركب ، فهذا بقدر الله - تعالى - والعبد لا يستسلم له ، ويسأله ، ويتلقاه بالإذعان ، بل عليه أن ينازعه ، ويدافعه بالماء والتراب ، وغير ذلك مما يطفىء الحريق ، وما خرج في ذلك عن قدر الله .

بل يجب أن يفعل الأسباب في عدم حصول ذلك أصلاً ، كما في الحديث : احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل ، فحدث بشأنهم النبي - ﷺ - ، قال : ﴿ إن هذه النار إنما هي عدو لكم ، فإذا نتم فأطفئوها عنكم ﴾ (٣٥٩) .

ومن ذلك تغطية الإناء ، وإيكاء السقاء ، وإغلاق الأبواب ، وذكر اسم الله عليها ، وإطفاء السرج عند النوم ، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب (٣٦٠) .

وهكذا إذا أصاب المؤمن مرض ، فهذا بقدر الله - تعالى - وقضائه الكوني ، فإن له أن يدافعه ، وينازعه بقدر الله أيضاً ، فيستعمل الأدوية الدافعة للمرض ، فإن غلبه وقهره حرص على دفع آثاره وموجباته بالأسباب التي نصبها الله لذلك ، فيكون قد دفع القدر بالقدر ، كما في قصة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وقوله عندما عوتب على فراره من الطاعون ، وعدم دخوله أرض الشام بمن معه من الصحابة ، والتابعين - رضي الله عنهم جميعاً - فقالوا له : ﴿ أفراراً من قدر الله ؟ ﴾ ، فقال عمر - رضي الله عنه - : ﴿ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أ رأيت إن كانت لك إبل هبطت وادياً له عدوتان : إحداهما : خصية ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصية رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ﴾ قال : فجاء عبدالرحمن بن عوف - وكان متغيباً في بعض حاجته - فقال : إن عندي في هذا علماً ، سمعت

رسول الله ﷺ يقول : ((إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) قال : ﴿ فحمد الله عمر ، ثم انصرف ﴾ (٣٦١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ ومن لم يستبصر من هذه المسألة ويعطها حقها لزمه التعطيل للمقدر أو الشرع شاء أو أبى ، فما للعبد ينازع أقدار الرب بأقداره في حظوظه ، وأسباب معاشه ، ومصالحه الدنيوية ، ولا ينازع أقداره في حق مولاه ، وأوامره ودينه ، وهل هذا إلا خروج عن العبودية ، ونقص في العلم بالله وصفاته وأحكامه ﴾ (٣٦٢) .

وعلى هذا ، فإنه لا بد أن يرضى بهذا المقضي ، ولا يجزع ، ولا يعترض على قدر الله وقضائه ، وإن كره ، أو تألم ، أو أبغض المقدر ، أو طلب تغييره إلى ما هو أحسن ، مع علمه بأنه قد يكون ما أصابه من ذلك خير مما هو يحب أن يصيبه ، مما ظاهره الخير ، فهو غير مأمور بمدافعة القضاء الكوني ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٦٣) .

النوع الثاني : ما ليس للعبد فيه اختيار ، ولا طاقة ، ولا حيلة في منازعته ومدافعته .

وهذا ما أشار إليه حديث عبادة - رضي الله عنه - السابق : ﴿ واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ﴾ الحديث .

فهذا لا تنفع فيه المنازعة ، ولا المدافعة ، فهذا يقابل بالرضا ، والاستسلام ، وترك المخاصمة والسخط ، والعلم والإيمان بأن الأمر والحكم والقضاء لله من قبل ومن بعد ، وأنه - سبحانه - له حكمة في ذلك هو يعلمها - سبحانه - ، وهو عدل في قضائه ، والقدر المقضي ينزل مواقعه ، ويحل محله لا راد له ،

وذلك أوجب للرب - سبحانه - عدله ، وحكمته ، وعزته ، وملكه ، وموجب أسمائه وصفاته ، فله عليه أكمل الحمد ، وأتمه ، والرضا ، والتسليم^(٣٦٤) .

وهذا ما دل عليه قوله - تعالى - : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣٦٥) أي : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه^(٣٦٦) .

وقال - سبحانه - : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾^(٣٦٧) .

وقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٣٦٨) .

وقوله - عز وجل - : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِن تَصْبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾^(٣٦٩) .

قال ابن القيم - رحمه الله - بعد ذكر هذه الآيات في هذا المقام : ﴿ فمن نزل هذه الآيات على هذا الحكم علماً ، ومعرفة ، وقام بموجبها إرادة ، وعزماً ، وتوبة ، واستغفاراً ، فقد أدى عبودية الله في هذا الحكم ، وهذا قدر زائد على مجرد التسليم والمسألة ... ﴾^(٣٧٠) .

حكم الرضا بالمصائب

تنازع العلماء ، والمشائخ من أصحاب الإمام أحمد ، وغيرهم في الرضا بالقضاء في المصائب ، هل هو واجب ، أم مستحب ، على قولين :

القول الأول : أنه واجب ، وعلى هذا فهو من أعمال المقتصدين ، ومعنى ذلك أنه فرض وعبادة كالصبر وغيره .

القول الثاني : أنه مستحب ، وعلى هذا فهو من أعمال المقربين ، أي أن الرضا به قربة لله - تعالى - يتقربها العبد لربه (٣٧١) .

وهذا بيان أدلة كل قول ومناقشتها وبيان القول الراجح :

القول بالوجوب : هو قول في مذهب الإمام أحمد (٣٧٢) - رحمه الله - وممن ذهب إلى ذلك الإمام القرطبي المفسر - رحمه الله - قال : ﴿ فالواجب على كل امرئ الرضا بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه له فيما يجب ﴾ (٣٧٣) .

وقال ابن حجر - رحمه الله - : ﴿ في قصة موسى والخضر من الفوائد : أن الله يفعل في ملكه ما يريد ، ويحكم في خلقه بما يشاء ، مما ينفع ، أو يضر ، فلا مدخل للعقل في أفعاله ، ولا معارضة لأحكامه ، بل يجب على الخلق الرضا والتسليم ، فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر ، فلا يتوجه على حكمه ﴾ (٣٧٤) .

ومعنى ذلك أنه يجب الرضا بالقضاء في المصائب والأوامر معاً .

أدلة أصحاب هذا القول :

١ - قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : ﴿ ومن أوجبه قال : السخط حرام ، ولا خلاص عنه إلا بالرضا ، وما لا خلاص عن الحرام إلا به فهو واجب ﴾ (٣٧٥) .

قلت : فجعلوه من باب : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

٢ - قالوا : إن ذلك من تمام الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ - رسلاً (٣٧٦) .

٣ - أنه إذا لم يكن راضياً بقضاء الله وقدره فهو سائح ، إذ لا واسطة بين الرضا والسخط ، وسخط العبد على قضاء الله - تعالى - مناف لرضاه به (٣٧٧) .

٤ - أن عدم الرضا بالقضاء والقدر يستلزم سوء الظن بالله ، ومنازعة في اختياره لعبده ، وأن الرب - سبحانه - يختار شيئاً ويرضاه ، فلا يختاره العبد ولا يرضاه ، وهذا مناف للعبودية (٣٧٨) .

٥ - ما روي في الأثر : ﴿ من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلوأي فليخذ رباً سواي ﴾ (٣٧٩) .

ويجاب عن هذه الأدلة بما يلي :

١ - أن الرضا بكل ما خلقه الله ويقضيه ليس عليه دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله - ﷺ - ولا قال به أحد من السلف ، أمّا الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، فهو واجب ، دل على وجوبه الكتاب والسنة (٣٨٠) .

٢ - أن الرضا يشرع بما يرضى الله به ، والله قد أخبر أنه ﴿ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٣٨١) و ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ (٣٨٢) ، وقال - تعالى - : ﴿ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (٣٨٣) .

وهذا أمر موجود من أقوال العباد ، وقد أخبر الله أنه لا يرضاه ، فإذا لم يرضه كيف يأمر العبد بأن يرضاه ، بل الواجب أن العبد يسخط ما يسخطه الله ، ويبغض ما يبغضه ، ويرضى بما يرضاه الله .

قال الله - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٣٨٤) ، فذم من اتبع مساخطه وكره مراضيه ، ولم يذم من كره مساخطه .

٣ - أمّا قوله : ﴿ إنه لا يتخلص من السخط على ربه إلا بالرضى عنه ، إذ لا واسطة بين الرضا والسخط ﴾ .

فكلام مدخول ؛ لأن السخط بالمقضي لا يستلزم السخط على من قضاه ، كما أن كراهة المقضي وبغضه ، والنفرة عنه ، لا تستلزم تعلق ذلك بالذي قضاه وقدره ، فالمقضي قد يسخطه وهو راض عمن قضاه وقدره ، بل قد يجتمع تسخطه والرضا بنفس القضاء^(٣٨٥) ، فالسخط شيء ، والشكاية شيء آخر .

٤ - قولهم : ﴿ إنه يستلزم سوء ظن العبد بربه ، ومنازعة له في اختياره ﴾ . فليس كذلك ، بل هو حسن الظن بربه في الحالتين ، فإنه إنما يسخط المقدور وينازعه بمقدور آخر ، كما ينازع القدر الذي يكرهه ربه بالقدر الذي يحبه ويرضاه ، فينازع قدر الله بقدر الله با الله الله ، كما يستعبد برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، ويستعبد به منه .

فأمّا ﴿ كونه يختار لنفسه خلاف ما يختاره الرب ﴾ فهذا موضع تفصيل لا يسحب عليه ذيل النفي والإثبات ، فاختيار الرب - تعالى - لعبده نوعان : أحدهما : اختيار ديني شرعي ، فالواجب على العبد أن لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له سيده ، قال - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾^(٣٨٦) ، فاختيار العبد خلاف ذلك مناف لإيمانه وتسليمه ، ورضاه با الله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً .

النوع الثاني : اختيار كوني قدري ، لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي يتلي الله بها عبده ، فهذه لا يضره فراره منها إلى القدر الذي يرفعها عنه ، ويرفعها ويكشفها ، وليس في ذلك منازعة للربوبية ، وإن كان فيه منازعة للقدر بالقدر ، وكما تقدم عن عمر وأبي عبيدة - رضي الله عنهما - .

فهذا يكون تارة واجباً ، وتارة يكون مستحباً ، وتارة يكون مباحاً مستوي الطرفين ، وتارة يكون مكروهاً ، وتارة يكون حراماً .

وأما القدر الذي لا يحبه ولا يرضاه - مثل قدر المعائب والذنوب - فالعبد مأمور بسخطها ، ومنهي عن الرضا بها ، وهذا هو التفصيل الواجب في الرضا بالقضاء^(٣٨٧) .

٥ - أن الأثر المستدل به من الآثار الإسرائيلية ، فلا تقوم الحجة به ؛ لأنه لا يعرف ثبوته عن الله ، وليس يصح عن النبي ﷺ^(٣٨٨) - .

القول بالاستحباب : قال أصحابه : الرضا بالمصائب مستحب ، وليس بواجب ، وهذا قول أكثر العلماء^(٣٨٩) ، وهو قول في مذهب الإمام أحمد^(٣٩٠) . أدلة أصحاب هذا القول :

١ - قالوا : الإيجاب يستلزم دليلاً شرعياً على الوجوب ولا دليل على ذلك^(٣٩١) .

٢ - أن الرضا من القرب التي يتقرب بها ، وليس من الفرائض ، أو الواجبات ، كما قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - : ﴿ الرضا عزيز ، ولكن الصبر معول المؤمن ﴾^(٣٩٢) .

٣ - قالوا : لم يحن الأمر بالرضا في القرآن الكريم ، ولا في السنة المطهرة ، مثل الصبر ، فالصبر أمر الله به في مواضع كثيرة من كتابه - سبحانه - ، وأما الرضا فلم يأمر به في آية واحدة^(٣٩٣) .

٤ - أن القول بوجوبه يلزم منه الرضا بما حرم الله ، مثل الرضا بمصيبة الكفر والفسوق وغيرهما^(٣٩٤) من القضاء الكوني القدري .

٥ - أنه قد روي عن ابن عباس يرفعه : ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِالرِّضَا مَعَ الْيَقِينِ فافْعَلْ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٣٩٥) .

وهذا فيه الحث على الرضا لا الأمر به (٣٩٦) .

٦ - أن المأمور به هو الرضا المشروع الديني ، ولم يأمرنا بالرضا بالمقدور الكوني (٣٩٧) .

٧ - قالوا : أجمع العلماء على أنه مستحب ، مؤكداً استحبابه (٣٩٨) ، قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : ﴿ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الرِّضَا بِذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ ﴾ (٣٩٩) .

والصحيح أن المصائب هي قضاء الله ومنسوبة إليه على وجهين :

الأول : كونها فعل الله القائم بذاته - تعالى - ، فهذا يجب الرضا به ، والتصديق والتسليم له ، ومن ذلك عدل الله ، وحكمته ، وقدرته ، وعلمه - سبحانه - وخلقته ، فالرضا بالمصائب من هذا الوجه واجب لاشك في ذلك .

الثاني : المقضي المنفصل عن الله ، المفعول له ، فهذا قسمان : مصائب ومعائب ، فالمعائب لاشك أنه يحرم الرضا بها ، كما سيأتي .

وأما ما يصيب الإنسان فقسمان - أيضاً - : ما كان من صحة وغنى ولذة وغيرها من النعم ، وهذا القسم يجب الرضا به ، وأنه فضل وإحسان من الله يحمد عليه ويشكر .

وأما ما يصيب العبد المؤمن من فقر ، ومرض ، وجوع ، وأذى ، وحر وبرد ، وغير ذلك مما يكرهه ويغضه العبد ، فيستحب الرضا به ، ولو عمل الأسباب لتغييره إلى ما هو أحسن .

والأدلة على استحباب ذلك كثيرة هي ما ذكره أصحاب القول الثاني وغيرها كثير :

منها : أن الله - سبحانه وتعالى - أثنى على أهل الرضا بقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(٤٠٠) فأثنى عليهم ولم يوجب ذلك عليهم^(٤٠١) ، قال ابن القيم - رحمه الله - : ﴿ وأما الرضا فإنما جاء في القرآن مدح أهله ، والثناء عليهم لا الأمر به ﴾^(٤٠٢) .

ومن ذلك : ما ورد في القرآن الكريم من مدح الراضين بما يفعله الله بعبد من المصائب ، كقوله - تعالى - : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٤٠٣) والبأساء : الفقر ، والضراء : المرض ، وحين البأس : حين القتال^(٤٠٤) .

وقوله - تعالى - : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾^(٤٠٥) .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : ﴿ البأساء في الأموال ، والضراء في الأبدان ، والزلزال في القلوب ﴾^(٤٠٦) .

الرضا بالمعاصي

القسم الثالث : وهو الجاري باختيار العبد ، وقضاء الرب ، مما يكرهه الله ويستخطه ، وينهى عنه ، وهو ما يسمى : الرضا بالمعصية :

لقد فتح إبليس لكثير من الناس باب الأهواء ، فلايتوبون ، ولايستغفرون ، ولايرون إلا أنهم على الحق ، وهو يرضى بذلك منهم دائماً^(٤٠٧) ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾^(٤٠٨) أي : هيأنا لهم شياطين ، أو سلطنا عليهم قرناء ، يزينون لهم المعاصي ، وهم من الجن ومن الإنس أيضاً ، فآثروا المعاصي على أمر الله ، وركنوا إلى أعمالهم في الدنيا ، ونسوا الآخرة ، فوجب عليهم العذاب ، فكانوا من الخاسرين لأعمالهم في الدنيا ، وأنفسهم وأهلهم في الآخرة^(٤٠٩) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٤١٠) .

بل إن الشيطان يحب أن يرى العبد يفعل ما يرضيه ، ويفرحه ، كما ورد في معنى حديث : ﴿إن الله يحب العطاس ويكره التأثب﴾^(٤١١) ، فالشيطان يحب التأثب ويرضى به ، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه^(٤١٢) ، ﴿والتأثب من الشيطان﴾^(٤١٣) .

والمعاصي والمنكرات أمور مضرّة للمعاصي ولغيره ، ومع ذلك يبقى بعض الناس معها ومع طبعه وذوقه ، وينسلخ عن دين الله ، وربما دخل في الشرك الأكبر كالقول بوحدة الوجود ، أو الاتحاد والحلول المطلق ، أو يقول بالحلول والاتحاد في بعض المخلوقات ، كال مسيح - عليه السلام - في زعم النصارى أو علي - رضي الله عنه - في زعم الإسماعيلية النصيرية - أو غيرهما - كالدرّوز

عبدة الحاكم بأمر الله - ، أو المشايخ ، أو بعضهم ، أو الملوك ، أو المردان - عياداً بالله - .

فيقول بحلول الإله في الصور الجميلة ، ويعبدها ، ومنهم من يتدين فقط بحب الصور الجميلة من النساء الأجانب والمردان ، وغير ذلك ، ويزعم أن هذا من الجمال الذي يحبه الله ، فهو يحبه فيلبس الحبة الطبيعية له المحرمة بالحبة الدينية الشرعية ، ويجعل ما حرمه الله - تعالى - ممّا يقرب إليه ، كما قال الله عنهم ، وعن أمثالهم : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١٤) .

وبعض الناس يبرر ما هو عليه من معاصٍ بادعاء أن الإيمان في القلب ، ويستدل بما ثبت في الصحيح : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ﴾ (٤١٥) .

وما أكثر من يتعبد الله بما حرمه الله عليه ، ويعتقد أنه طاعة وقربة ، وحاله في ذلك شرٌّ من حال مَنْ يعتقد ذلك معصية وإثمًا ، ويبغض مع ذلك مخالفه في هذه المحرمات والبدع المنكرة ، بل ويشتد غضبه عليه كما قيل :

نظروا بعين عداوة لو أنها عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا (٤١٦)

وقيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا (٤١٧)

وهذا استقباح للحق ، ورضى بالباطل ، والبدعة ، والمعصية .

وفيه شبه بالنصارى الضالين ، الذين يتعبدون بما لا يصدق عقل عاقل ، وينكرون على أهل الحق ما نص عليه المشرع ، وتجاوز العقول (٤١٨) .

قال سفيان الثوري - رحمه الله - : ﴿ إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ؛ لأن البدعة لا يتاب منها ، والمعصية يتاب منها ﴾ (٤١٩) .
وقد تتمكن المعصية من القلب فيرضى بها صاحبها ، بل ويغلو في ذلك ، وذلك على حساب دينه ، وصحته ، وعقله ، فيصير مثله مثل من قال في جاريته :

أرى ماء وبني عطش شديد ولكن لا سيـــــل إلى الورود
أما يكفيـــــك أنك تملكيـــــني وأن الناس كلهم عبيدي
وأنت لو قطعت يدي ورجلي لقلت من الرضا أحسنت زيدي (٤٢٠)
وابواء أهل المعاصي رضى بالمعصية ، وتعاوناً عليها ، والله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٤٢١) .

وعن أبي الطفيل ؛ عامر بن واثلة قال : كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال : ما كان النبي - ﷺ - يسر إليك ؟ قال : فغضب وقال : ما كان النبي - ﷺ - يسر إليّ شيئاً يكتمه الناس ، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع ، قال : فقال ما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : ﴿ لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غير منار الأرض ﴾ (٤٢٢) .

فمن نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه فقد رضي بفعله .

فالإبواء فيه الرضا به والصبر عليه .

وإذا رضي أحد بالبدعة ، وأقر فاعلها ، ولم ينكرها ، فقد آواه (٤٢٣) ،

وخالف بذلك أمر الله - تعالى - وأمر رسوله - ﷺ - فهو مأمور بالإنكار ، ويستلزم عدم الإيواء ، أو الرضا بالمنكر ، أو البدعة ، وإذا لم ينكر ، فإنه يتحمل تبعة تقصيره ، ويكون قد رضي بالمعصية .

عن أم سلمة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال : ﴿ ستكون أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع ﴾ قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : ﴿ لا ، ما صلوا ﴾ (٤٢٤) .
فقلوه : ﴿ ولكن من رضي وتابع ﴾ دليل على وجوب ترك الإيواء أو الرضا بالمعصية .

وقريب من هذا معاشرة أهل البدع ، وأهل الفسق والعصيان ، ومناذمتهم ، وتقريبهم ، وإقصاء أهل الإيمان ، وأهل الطاعة ، وهذه تسمى مداھنة .
والأولى بالمسلم أن لا يداھن أهل العصيان ، ويرضى بما هم عليه من الفسوق ، ويسكت سكوت راض بما هم فيه من غير إنكار .
صحيح أن مداراة الناس ، وخفض الجناح لهم ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، من أقوى أسباب الألفة ، وقبول الحق ، وهي مندوبة ، كما في النصوص الشرعية الموضحة لذلك ، مثل :

١ - قوله - تعالى - في خطاب الرسول - ﷺ - : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٢٥) .

٢ - وقوله - سبحانه - : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٤٢٦) .

٣ - وقوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٤٢٧) .

فالرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك أمر مطلوب مستحب .

أمّا الرضا بوقوع المعصية من العبد ، والسكوت على ذلك ، وتأنيده ولو بغير تصريح ، فإن هذا من الرضا بمعصية الله ، وهذا مخالف لأمر الله ، وأمر رسوله - ﷺ (٤٢٨) - .

قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها ، وقال مرة : فأنكرها ، كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها ﴾ (٤٢٩) .

وهذه مسألة عظيمة ؛ لأن الرضا بالمعصية معصية (٤٣٠) ، فقد جاء رجل إلى الشعبي فحسن عنده مقتل عثمان - رضي الله عنه - فقال الشعبي : ﴿ شركت في دمه ﴾ (٤٣١) .

فجعل الرضا بالقتل قتلاً - رضي الله عنه - .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (٤٣٢) .

فهذا دليل على وجوب اجتناب أهل المعاصي إذا ظهر منهم منكر ، وهذا عدم الرضا بالمعصية ؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم ، والرضا بالكفر كفر ، كما دل عليه قوله : ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ﴾ فكل من جلس في معصية ولم ينكرها يكون مع أهلها في وزرهم ، فينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية ،

أو عملوها ، فإن لم يستطع الإنكار ، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية .

يروى أن عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - أخذ قوماً يشربون الخمر ف قيل له عن أحد الحاضرين : إنه صائم ، فحمل عليه الأدب^(٤٣٣) ، وقرأ هذه الآية ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾^(٤٣٤) أي : إن الرضا بالمعصية معصية ، ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي حتى يهلكوا بأجمعهم .

ولاشك أن هذه المماثلة ليست في جميع الصفات ، لكن إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة ، وقد قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي^(٤٣٥)
فتجنب أهل الأهواء والبدع واجب لغير الناصح والمعلم لهم ، وليس مثلهم في الأهواء والبدع ، لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٤٣٦) .

ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله - ﷺ - آية ولا حديث يأمر العباد أن يرضوا بكل مقضي مقدر من أفعال العباد حسننها وسيئها ، ﴿ فهذا أصل يجب أن يعتنى به ﴾^(٤٣٧) .

فالرضا بالمعاصي محرم يعاقب صاحبه عليه ، وهو مخالفة لأمر الله - تعالى - وأمر رسوله - ﷺ - .

﴿ وقالت طائفة ترضى من جهة كونها مضافة إلى الله خلقاً ، وتسخط من جهة كونها إلى العبد فعلاً ، وكسباً ، وهذا القول لا ينافي الذي قبله ﴾^(٤٣٨) .
فالأصل واحد ، وهو إنما قدر - سبحانه - الأشياء لحكمة ، فهي باعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية ، وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة^(٤٣٩) .

فالذي عليه أئمة الدين أنه لا يجوز الرضا بالكفر والفسوق والعصيان ، فعلى المسلم أن لا يرضى بذلك ؛ لأن الله لا يرضاه ، كما قال - سبحانه - : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ (٤٤٠).

وقال - سبحانه - : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٤٤١).

وقال - عز وجل - : ﴿ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٤٤٢).

وقال - سبحانه - : ﴿ فَجَزَّآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٤٤٣).

وقال - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ (٤٤٤).

وقال - تعالى - : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ (٤٤٥).

وقال - سبحانه - : ﴿ لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٤٤٦).

وقال - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ (٤٤٧).

فإذا كان الله - سبحانه - لا يرضى لهم ما عملوه ، بل يسخط ذلك ، وهو يسخط عليهم ، ويغضب عليهم ، فكيف يشرع للمؤمن أن يرضى ذلك ، وأن لا يسخط ويغضب لما يسخط الله ويغضبه .

ومن المعلوم أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله ، وقد أمرنا الله أن نأمر بالمعروف ، ونحبه ، ونرضاه ، ونحب أهله ، ونهوى عن المنكر ، وأمرنا أن نهى عنه ، ونبغضه ، ونسخطه ، ونبغض أهله ، ونجاهدهم بأيدينا

وألستنا وقلوبنا ، فكيف نتوهم أنه ليس في المخلوقات ما نبغضه ونكرهه ، وقد قال الله - تعالى - لما ذكر من المنهيات : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (٤٤٨) ، فإذا كان الله يكرهها وهو المقدر لها فكيف لا يكرهها ويبغضها العبد المأمور بذلك (٤٤٩) ؟ .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (٤٥٠) .
وقال - سبحانه - : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ (٤٥١) .

وقال - سبحانه - : ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٤٥٢) .
فبين أنه يرضى الدين الذي أمر به ، فلو كان يرضى كل شيء لما كان له خصيصة .

وفي الصحيحين عن النبي - ﷺ - أنه قال : ﴿ ... إن من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ﴾ (٤٥٣) ، وقال - ﷺ - : ﴿ إن الله يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله ﴾ (٤٥٤) ، ولا بد في الغيرة من كراهة ما يغار منه وبغضه .

وبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس .

بعض ما ينافي الرضا بالقضاء

- ١ - الاعتراض على قضاء الله الشرعي :
- والاعتراض قد يكون على قضاء الله الديني الشرعي ، وقد يكون على قضاء الله الكوني القدري ، وخاصة ما يخالف ما يجب العبد ويهوى .

فمن الأول : ما ورد عن المنافقين الذين قالوا في غنائم حنين : ﴿ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ، ونحو ذلك .

فهذا الاعتراض معصية لله ولرسوله - ﷺ - يخاف على صاحبه النفاق وإن لم يكن منافقاً ، وهو ينافي الرضا بقضاء الله الشرعي الديني (٤٥٥) .

وأعظم من ذلك سب النبي - ﷺ - وهذا من أعظم الاعتراض على الله وعلى قضائه الشرعي ، والتكذيب بالقدر ، ومن أظهر الاعتراض على النبي - ﷺ (٤٥٦) - .

وقريب من ذلك الاعتراض على سنة من سنن الرسول - ﷺ - ، فهذا الاعتراض مناف للرضا بالقضاء ، ومعارض لقول المسلم : ﴿ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ﴾ ، قال الله - تعالى - محذراً من ترك الرضا بحكم الرسول - ﷺ - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٤٥٧) .

وهذا تعريف من الله - تعالى - ذكره للمنافقين ، بأن تركهم طاعة الله وطاعة رسوله - ﷺ - والرضا بحكمه إنما هو للسابق لهم من خذلانه ، وغلبة الشقاء عليهم ، ولولا ذلك لكانوا من أذن له في الرضا بحكمه والمصارعة إلى طاعته (٤٥٨) .

وقال - سبحانه - : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤٥٩) ، فأقسم بنفسه - سبحانه - على نفى إيمان من لم يجمع ثلاثة أمور هي : تحكيمه فيما شجر بينهم ، ثم أن لا يجد في نفسه حرجاً ، والتسليم .

وهذا يوجب أنه ليس في أمره ونهيه ما يوجب الحرج عن امتثال ذلك ، فإن حكمه لا بد فيه من أمر ونهي وإن كان فيه إباحة أيضاً ، فلو كان الأمر به والمنهي عنه مضرّة للعبد ، ومفسدة ، وألماً بلا لذة راجحة ، لم يكن العبد ملوماً على وجود الحرج فيما هو مضرّة له ومفسدة .

فعلى المؤمن أن يحب ما أحب الله ، ويغض ما أبغضه الله ، ويرضى بما قدره الله^(٤٦٠) ، ويسلم لحكم رسول الله - ﷺ - ، وكل مقدور قدر للعبد إذا عمل فيه بطاعة الله ورسوله ، وإنما يكون شراً لمن عمل بمعصية الله ورسوله .
٢ - ترك التوكل ترك لأمر الله في آيات كثيرة :

منها قوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤٦١) .
ومن لم يفوض أمره إلى الله ، ويعمل الأسباب متوكلاً على الله فليس براض عن الله ، أو عن قضاء الله وقدره ، وفي الأثر : ﴿ من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ... ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ﴾^(٤٦٢) .

٣ - السخط :

والسخط ضد الرضا ، وفيه شقاوة الساخط ، كما في الحديث الذي مرّ ﴿ ومن شقاوة العبد تركه الاستخارة ، وسخطه بما قسم الله له ﴾ .
وقد جعل الله فيه الهم والغم والحزن ، وشتات القلب ، وكف البال ، وسوء الحال ، والظن بالله خلاف ما هو أهله ، وقلة اليقين ، كما في حديث أبي سعيد الخدري السابق ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ... ﴾ .

وأما الرضا فيفرغ القلب ، ويقلل همه وغمه ، فيتفرغ لعبادة الله بقلب خفيف من أثقال الدنيا ، وهمومها ، وغمومها^(٤٦٣) .

والسخط من سوء الخلق^(٤٦٤) ؛ لأن الساخط مخاصم لله - تعالى - فيما لم يرض به ، من أمره ونهيه ، أو قضائه ورزقه ، وما يصيبه من نوائب ومصائب .

وهذه المخاصمة هي أصل منهج إبليس مع ربه ، فقد كان منهجه : عدم الرضا بأقضيته وأحكامه الدينية والكونية القدرية ، فلو رضي لم يمسخ من الحقيقة الملكية إلى الحقيقة الشيطانية الإبلسية^(٤٦٥) .

والسخط يفتح باب الشك في الله ، وقضائه وقدره ، وحكمته وعلمه ، فقل أن يسلم الساخط من شك يداخل قلبه ، ويتغلغل فيه ، وإن كان لا يشعر به ، لكن لو فتش نفسه غاية التفثيش ، واختبرها ، لوجد إيمانه معلولاً ، وتصديقه مدخولاً ورضاه منقوضاً ، فإن الرضا واليقين صاحبان لا يكادان يفترقان ، كما أن السخط والشك قرينان ؛ أحدهما قرين الآخر^(٤٦٦) .

وهذا ما دل عليه الحديث السابق إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل .

وكذلك حديث ﴿ من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله ﴾^(٤٦٧) .

فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة ، والسخط على القضاء من أسباب الشقاوة .

والسخط يوجب اضطراب قلب العبد وريبته وانزعاجه وعدم قراره ، كما أنه يوجب تلون العبد وعدم ثباته مع الله ، فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه ونفسه ، والمقادير تجري دائماً بما يلائمه ، وبما لا يلائمه ، وكلما جرى عليه منها ما لا يلائمه أسخطه ، فلاتتحقق عبوديته لله - تعالى - .

فإذا ابتلى الله - سبحانه وتعالى - عبده في رزقه ، أو غير ذلك من أمور حياته ، فإنما ذلك امتحان له أيرضى أم يسخط ، يدل على ذلك آيات منها : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ (٤٦٨) .

لأن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق ، ونحو ذلك ، فقد يوسع على الكافر لا لإكرامه ، ويقتصر على المؤمن لا لإهانته ، لكن لحكمة هو يعلمها - سبحانه - ، وقد يكون إكراماً له ومنعاً من شر الغنى كما تقدم .

٤ - الحزن على ما فات :

قال الله - تعالى - : ﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٤٦٩) ، فهذه دعوة للعباد إلى ترك الحزن على الدنيا ، بل نهى الله عنه ، وإن تعلق بالدين ، كقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ (٤٧٠) ؛ لأنه لا يجلب منفعة ، ولا يدفع مضرة ، فلا فائدة فيه (٤٧١) .

أما الحزن على موت قريب ، أو فوات عبادة ، أو نحو ذلك مما ليس فيه طمع أو سخط أو اعتراض على المقدر ، فهو رحمة من الله ، وهو حزن القلب ، وحزن القلب لا يؤاخذ به العبد إذا لم يصحبه اعتراض على قدر الله - تعالى - ، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حزنوا ، ولم يكن ذلك دليلاً على عدم يقينهم بالله ، ورضاهم بقضائه .

والنبي - ﷺ - لما كان ابنه إبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا النبي - ﷺ - - تذرفان ، فقال له عبدالرحمن ابن عوف وأنت يا رسول الله ؟ فقال : يا ابن عوف إنها رحمة الله ، ثم أتبعها بأخرى ، فقال : ﴿ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَحَزَنُونَ ﴾ (٤٧٢) .

ولما اشتكى سعد بن عباد - رضي الله عنه - فأتاه النبي - ﷺ - يعودوه مع عبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنهم - ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال : قد قضى ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى النبي - ﷺ - ، فلما رأى القوم بكاء النبي - ﷺ - بكوا ، فقال - ﷺ - : ﴿ ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ... ﴾ (٤٧٣) .

وأما ما نهى عنه من الحزن في مثل قول الله - تعالى - : ﴿ ... وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٤٧٤) ، وقوله سبحانه : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٧٥) وغيرهما من الآيات إنما هو نهى عن الحزن مقرون بما يوجب زواله ، ثم إنه لم يوجد هذا الحزن المنهي عنه ، بل النهي لئلا يوجد هذا النوع من الحزن الذي ربمما يكون معصية ، أو ينهي عن الإفراط فيه ، أو قد يكون تسلية أو أمراً باكتساب قوة تدفعه عنه ؛ ليثاب على ذلك (٤٧٦) .

فالحزن الذي لا يخرج الإنسان من كونه صابراً راضياً ، أي كان قلبه مطمئناً فإنه لا يؤاخذ عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : ﴿ ولهذا لم يؤمر بالحزن المنافي للرضا قط ، مع أنه لا فائدة فيه ، بل قد يكون فيه مضرة ، لكنه عفي عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله ﴾ (٤٧٧) .

٥ - النياحة :

ومِمَّا يضاد الرضا وينافيه النوح من النساء ، أو الرجال ، وهو عادة يكون

من النساء عند القبور ، وعند نزول المصائب ، وهذا من الجزع والاعتراض على القضاء ، لما يصحبه من صك الوجه ، أو لطم الخد ، أو الدعاء بالويل والثبور ، أو سب الدهر عند المصيبة ، أو رفع الصوت بالبكاء والويل ، اعتراضاً على القضاء والقدر ، عند موت محبوب ، أو قريب ، أو فوات أمر دنيوي ، وغير ذلك مما نهى عنه النبي - ﷺ - في مثل قوله : ﴿ ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ﴾ (٤٧٨) .

وما في الصحيح أن أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه - وجع وجعاً شديداً ، فغشي عليه ، ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فصاحت امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : ﴿ أنا برئ ممن برئ منه رسول الله - ﷺ - فإن رسول الله - ﷺ - برئ من الصالقة ، والخالقة ، والشاقة ﴾ (٤٧٩) .

والنياحة ضلال عظيم ، تتضمن فعل ما نهى الله عنه ، وترك ما أمر به ، ففيها ترك الصبر ، وفيها الجزع ، وقول الهجر ، ودعاء غير الله ، وترك إخلاص الدين لله (٤٨٠) .

والنائحة تعاقب على النياحة ، كما في الحديث الصحيح عن أبي مالك الأشعري أن النبي - ﷺ - قال : ﴿ أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، وقال : النائحة إذا لم تب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب ﴾ (٤٨١) .

والإنسان يعذب بالأمور المكروهة التي يشعر بها ، مثل الأصوات الهائلة ، والأرواح الخبيثة ، والصور القبيحة .

ولذلك فإن الميت المناح عليه ، إذا رضي بذلك وهو في حياته ، أو أوصى به ، أو دعا إليه ، ولم ينه عنه ، فإن له نصيبه من عذاب النياحة ، لما ورد في الحديث : ﴿ إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ﴾ (٤٨٢) .

بل قد عد أهل العلم : صناعة الطعام من أهل الميت ، ودعوة الناس إليه من النياحة .

والاجتماع لهذا في حد ذاته من النياحة (٤٨٣) .

فالنياحة وما يحفها ويقتن بها من المخالفات الشرعية تنافي الرضا بالقضاء ، وهي أيضاً من التسخط الذي هو ضد الرضا .

ومِمَّا يحدث الشيطان لفئة من الناس - وهم الرافضة - بدعتي الحزن والنوح يوم عاشوراء ، من اللطم ، والصراخ ، والبكاء ، والعطش ، وإنشاد المراثي ، وما يفضي إليه ذلك من سب السلف الصالح ، ولعنهم ... إلخ .

وهذا من الجزع والنياحة للمصائب القديمة ، وهو من أعظم ما حرم الله ورسوله ، ويخالف الرضا بالقضاء ، وينافيه (٤٨٤) .

أمَّا البكاء على الميت حين وفاته ، على وجه الرحمة ، فقد أخبرنا النبي - ﷺ - أنها ﴿ رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ﴾ (٤٨٥) .

٦ - مِمَّا ينافي الرضا بالقضاء : تمني الموت لضر نزل أو مصيبة :

ففي الحديث : ﴿ لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ﴾ متفق عليه (٤٨٦) .

فالحديث دليل على النهي عن تمني الموت ، للوقوع في بلاء ، أو محنة ، أو خشية ذلك من عدو ، أو مرض ، أو فاقة ، أو نحوها من المصائب التي تصيب الإنسان في حياته ، لما في ذلك من الجزع ، وعدم الصبر على المقدر ، وعدم الرضا بالقضاء .

وهذا بخلاف تمني الشهادة في سبيل الله ، فإن هذا حسن مطلوب ؛ لأنه ذروة الإيمان ، يدل على الصبر والثبات والرضا بما يصيبه في ذلك مما يقدره الله عليه .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - ﷺ - قال : ((والذي نفسي بيده ، وددت أني أقاتل في سبيل فأقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل)) (٤٨٧) .

وكذلك طلب الموت على الإسلام عند الاحتضار ، كما في قول الله - تعالى - عن يوسف - عليه السلام - : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٤٨٨) ، وقول النبي - ﷺ - عند موته : ((اللهم في الرفيق الأعلى)) (٤٨٩) ثلاثاً ، وحتى في غير الاحتضار ، فيطلب أن يموت على الإسلام عند انتهاء أجله ، أو خوفاً من فتنة في الدين عامة ، كما في إخبار الله عن السحرة ، لما أرادهم فرعون عن دينهم ، وتهدهم بالقتل ، ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٤٩٠) .

وقال عن مريم - عليها السلام - لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة ؛ لأنها لم تكن ذات زوج ... ، وجاءها المخاض - أي الطلق - إلى جذع النخلة : ﴿ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ (٤٩١) .

فكل هذا جائز ، ليس فيه جزع أو اعتراض على المقدر ، فلا ينافي الرضا بالقضاء^(٤٩٢) .

٧ - عدم الرضا بالمقسوم من الرزق :

ما قدره الله للعبد من الرزق سيصله ؛ وإن كان لا بد من الاكتساب ، وفعل الأسباب .

ومن الكسب ما يكون واجباً ، وهذا عند احتياج العبد إلى النفقة على نفسه ، أو عياله ، أو قضاء دينه ، وهو قادر على الكسب ، ولا يشغله ذلك عن ما هو أفضل عند الله ، وهذا من الرضا بالقضاء الشرعي ، وهو واجب عند العلماء ، وتركه فيه معصية لله - تعالى - .

ومنه ما هو مستحب ، وهو ما اكتسبه العبد ، لنفع نفسه ، والإنفاق في وجوه الخير^(٤٩٣) ، كما في الحديث : ((على كل مسلم صدقة)) قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : ((فيعمل بيده فينفع نفسه ، ويتصدق)) قالوا : فإن لم يستطع ؟ أو لم يفعل ؟ قال : ((فيعين ذا الحاجة الملهوف)) ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : ((فليأمر بالخير)) أو قال : ((بالمعروف)) ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : ((فليمسك عن الشر ؛ فإنه له صدقة))^(٤٩٤) .

ومنه ما هو مذموم ، وهو ما اكتسب لغير الحاجة ، أو الإنفاق في وجوه الخير ، أو أشغل عن ذكر الله - تعالى - وعبادته .

يدل على ذلك مثل قول الله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾^(٤٩٥) ، وقول النبي - ﷺ - : ((تعس عبد الدينار ، والدرهم ، والقطيفة ، والخميسة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض))^(٤٩٦) وغيره^(٤٩٧) .

وقد تعوذ منه النبي - ﷺ - في قوله : ﴿ ... اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ... ﴾ (٤٩٨) .

فالحرص والطمع والشرك وتعلق النفس بالآمال البعيدة^(٤٩٩) : ترك للرضا ينافي الرضا بالقضاء ، ويورث صاحبه في الدنيا حسد الأغنياء ، والطمع في أموالهم ، والتذلل بما يندس العرض ، ويثلم الدين .
أمّا ما اكتسب من طريق محرم ؛ كالربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وبغير حق ، ونحو ذلك ، فصاحبه لا تحمد عاقبته في الآخرة ، فلصاحبه العذاب المهين يوم القيامة^(٥٠٠) .

٨ - الجزع والهلع :

المصيبة تورث نوعاً من الجزع ، يقتضي لوم من كان سببها ، فإذا تبين العبد أن هذه المصيبة وسببها مقدوراً ، مكتوباً ، فعليه الصبر على قدر الله ، ويسلم لأمر الله ؛ فإن هذا من جملة ما أمره الله به ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ (٥٠١) .

قال ابن مسعود : ﴿ هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ﴾ (٥٠٢) ، والجزع ضعف النفس ، وخوف القلب ، يمهده شدة الطمع والحرص ، ويتولد من ضعف الإيمان بالقدر ، وصاحبه معاقب به ، فيحرمه الراحة التي يرتاحها العابدون الراضون ، ويخرب القلب ، ويحرم رضوان الله في الآخرة ، ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٥٠٣) والهلع أفحش الجزع^(٥٠٤) ، وفي الحديث : ﴿ شر ما في المرء شح هالع وجبن خالع ﴾ (٥٠٥) .

فاهلع له معان منها : الحرص ، والشح ، والضجر ، والبخل ، والشره ، والإمساك ، والذي لا يشبع ، وضيق القلب ، والعجلة ، وهذه المعاني كلها تنافي الرضا بالقضاء .

والجزع ضد الصبر الآيل إلى الرضا ، فلا خير في العجز ولا في الجزع ، كما نجده في حال كثير من الناس ، حتى بعض المتدينين إذا ظلموا أو رأوا منكراً فلا ينتصرون ولا يصبرون بل يعجزون ويجزعون .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال : ﴿ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير : احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن غلبك أمر فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان ﴾ (٥٠٦) .

﴿ فلا يعجز المؤمن عن مأمور ، ويجزع من قضاء مقدور ﴾ (٥٠٧) .

فمن أراد بلوغ مقام الرضا فليحبس نفسه عن الجزع ، والهلع ، والتشكي ، والتسخط باللسان عن الشكوى ، وبالجوارح عما لا ينبغي فعله ، وهذا هو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية .

وليس هذا معناه أن يقسو قلبه ويمنعه من الانفعال والتأثر بالنوازل ، فمن لم يتأثر بها لغلظة قلبه وقساوته لا لصبره واحتماله فليس من الراضين بالقضاء والقدر (٥٠٨) .

مذهب الصوفية في الرضا بالقضاء

ومن ضل في هذا الباب أكثر أصحاب الطرق الصوفية ، وكان سبب ضلالهم في الرضا بالقضاء أمور ، أشهرها باختصار :

١ - أنهم رأوا أن الراضي بأمر لا يطلب غيره ، ثم إنهم رأوا أقصى المطالب وأعظمها الجنة ، وأدناها وأكبرها النار ، فقالوا ينبغي ألا يطلب شيئاً غير ما هو فيه .

٢ - أنهم ظنوا أن الرضا بكل قضاء يحبه الله ويرضاه ، من خير أو شر ، إيمان أو كفر ، معصية أو طاعة ، وهذا ضلال بين خطأه وخطره في هذا البحث بما يكفي إن شاء الله .

٣ - أنهم لا يفرقون بين الدعاء الذي أمروا به إيجاباً ، أو استحباباً ، وهو من أسباب الرضا بالله ، وعن الله ، والذي نهوا عنه ، أو لم يؤمروا به ، ولم ينهوا عنه ؛ لأن الدعاء ثلاثة أنواع :

نوع مأمور به إيجاباً ، أو استحباباً ، كما في قوله - سبحانه - : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٥٠٩) .

ونوع منهي عنه ، وهو الاعتداء في الدعاء ، مثل أن يسأل العبد ما هو من خصائص الرب ، أو الأنبياء ، مثل أن يسأل الله أن يجعله بكل شيء عليمًا ، أو يرفع عنه كل حجاب حتى يطلع على الغيب ونحو ذلك .

ويتبعه دعاء ﴿ اللهم اغفر لي إن شئت ﴾ (٥١٠) ونحوه .

ونوع منه ما هو مباح ، كطلب المباحات التي لا معصية فيها .

والرضا عند الصوفية ثلاث درجات :

الأولى : رضى العامة ، وهو الرضا بالله رباً ، وتسخط عبادة ما سواه .

قالوا : وهذا قطب رضى الإسلام ، وهو يظهر من الشرك الأكبر (٥١١) .

ومنه رضاهم - أي العوام - بما قسمه الله ، وأعطاهم (٥١٢) .

الدرجة الثانية : الرضا عن الله ، وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقدر .

ويقولون : إن هذا من أوائل مسالك أهل الخصوص (٥١٣) .

وقد ظن بعضهم أن هذا من توابع المحبة لله (٥١٤) .

ويقولون : إن هذه الدرجة لا تصح إلا بثلاثة شرائط :

١ - استواء الحالات عند العبد .

٢ - وسقوط الخصومة مع الخلق .

٣ - والخلاص من المسألة والإلحاح (٥١٥) .

ويدخل في ذلك الرضا بالمعاصي ، والكفر ، والفسوق (٥١٦) .

وهم بذلك لم يفرقوا بين القضاء الشرعي والكوني ، ولا بين الإرادة والمحبة

والرضا ، ولا بين المأمور والمحذور ، ولا بين أولياء الله وأعدائه .

ويسمون هذه الدرجة رضى الخواص (٥١٧) .

﴿ الدرجة الثالثة : الرضا برضى الله ، فلا يرضى العبد لنفسه سخطاً ، ولا

رضى ، فيبعثه على ترك التحكم ، وحسم الاختيار ، وإسقاط التمييز ، ولو

أدخل النار ﴾ (٥١٨) .

وهذه الدرجة هي التي عبر عنها الداراني فيما روي عنه في تعريف الرضا

﴿ الرضا أن لا يسأل الله الجنة ولا يستعيز به من النار ﴾ (٥١٩) .

وقال بعضهم : ﴿ لقد أوتيت من الرضا نصيباً لو ألقاني في النار لكنت

بذلك راضياً ﴾ (٥٢٠) .

وقال الآخر :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاخبرني (٥٢١)

ويسمون هذه الدرجة : رضى خواص الخواص به بدلاً من كل ما

سواه (٥٢٢) .

وإليك بعض الردود عليهم باختصار :

١ - أن الدرجة الأولى أعلى شأنًا وأرفع قدرًا ، فإنها مختصة بعباد الله الصالحين ، الذين يرضون بربوبية الله ، ولا يعبدون إلا إياه ، ويرضون بذلك ، وبأسمائه وصفاته وأفعاله ، كما في الحديث : ﴿ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ﴾ .

ومن أقوال بعض الصوفية الحسنة في هذا : ﴿ من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه ﴾ (٥٢٣) ، فالتزام ما جعل الله رضاه فيه من امتثال أمره واجتناب نهيه - ويتناول المباح من غير تعد إلى المحظور - هذا هو الرضا بالله رباً ، كما سبق ، وهذه هي درجة الصديقين .

أمّا الثانية فهي مشتركة بين المؤمنين وغيرهم ؛ لأنها الرضا بالقضاء ، والرضا بالقضاء يصح من المؤمن وغيره ؛ لأن غايته التسليم لقضاء الله وقدره ، وقد يحصل من الكافر لا الله ، ولكن مجرد رضى بالقضاء ، وتسليماً بالقدر ، ﴿ فأين هذا من الرضى به رباً ، وإلهاً ، ومعبوداً ؟ ﴾ (٥٢٤) .

٢ - الرضا بالله رباً فرض ، بل من أكد الفروض بالاتفاق ، فمن لم يرض بالله رباً ، لم يحصل له إسلام ، ولا عمل ، ولا حال .

وأمّا الرضا بقضائه (المصائب) فهو مستحب ، كما سبق عند أكثر العلماء ، فالفرق بين الدرجتين فرق ما بين الفرض والندب ، فالفرض وهو الرضى بالله رباً ... فعله الأولى والآكد ، ومقدم على فعل المستحب ، وهو الرضا بالقضاء ، كما في الحديث الإلهي السابق : ﴿ يقول الله - عز وجل - : ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ﴾ .

٣ - أن الرضا بالله رباً هو الإيمان بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله - ربوبيته العامة والخاصة - وأنه الخالق المدبر ، الأمر الناهي ، الملك القدوس ، المعطي المانع ، الوكيل الولي ، الحكم والحاكم ، الناصر والمعين ، والكافي ، والحسيب والرقيب ، والمبتلي والمعافي ، والقابض والباسط ، فهو المتصف بجميع صفات الربوبية .

أما الرضا بالقضاء ، أو الرضا عنه : فهو رضى العبد بفعل الله ، وبما يعطيه عبده ، ولهذا كان الترغيب فيه فيما يخص الثواب والجزاء ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (٥٢٥) ، فهي ترضى بما يحصل لها من كرامة وثواب عملها الصالح .

وكذلك قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (٥٢٦) .

٤ - أن الرضا بالله رباً متضمن للرضا بالقضاء والقدر ، ومستلزم له ؛ لأنه إذا رضى بالله رباً : رضى بأمره ونهيه ، ويستلزم ذلك أن يرضى بما يقسمه له ويقدره عليه ، ويعطيه إياه ، ويمنعه عنه ، فمن لم يرض بذلك كله لم يرض بالله رباً من جميع الوجوه .

إذا فالرضى بالله رباً يستلزم الرضا بالقضاء ويتضمنه بلا شك (٥٢٧) .

٥ - أن الرضا بالله رباً أصل ، والرضا بالقضاء أو الرضا عنه كما يقولون فرع ، أو ثمرة للرضا بالله رباً ، ولعل ممّا يدل على هذا ما صح عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : ﴿ ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، ومحمد - ﷺ - رسولاً ﴾ ، فإنه علق ذوق طعم الإيمان بالرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، ومحمد - ﷺ - رسولاً ، التي هي أصول الإسلام التي لا يقوم إلاّ بها وعليها ، ولم يعلق ذلك على الرضا بالقضاء أو ما يسمونه الرضى عنه .

فالرضا بالقضاء والقدر تابع لهذا الرضا ، فمن رضي بالله رباً ، رضي به الله له عبداً ، ومن رضي بما أعطاه الله ، أو منعه ، وما أصابه من بلاء وعافية دون أن يرضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، لم يحقق الإسلام والإيمان ولا يحصل له رضي الله - سبحانه - يوم القيامة ، كما يدل على ذلك قول النبي - ﷺ - : ﴿ من قال كل يوم : رضيتُ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة ﴾ (٥٢٨) .

٦ - أن الرضا بالله رباً ... يتضمن أنواع التوحيد ، ومن ذلك عبادته وحده والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، وخوفه ورجاؤه ومحبته ، والصبر على طاعته وعن معصيته ، وعلى قضائه وقدره ، والشكر على نعمه ظاهرة وباطنة ، وهذه هي حقيقة شهادة ألا إله إلا الله ، وطاعة رسوله محمد - ﷺ - فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع ، وهذا هو حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ، وهو الرضا بمحمد رسولاً ، والتزام عبودية الله ، وطاعته ، وطاعة رسوله - ﷺ - هو الرضا بالإسلام ديناً ، فهذا هو الدين كله ، ومنه الرضا بالقضاء الذي يلزم كل مسلم ، ويستحب منه ، أو يجب عليه ؛ كما سبق .

٧ - طلب الجنة والاستعاذة من النار طريق أنبياء الله ورسله ، وجميع أوليائه المقربين وأصحاب اليمين .

وقد سأل النبي - ﷺ - رجلاً : ما تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم أقول : اللهم إني أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار ، أما والله ما أحسن دندنتك ، ولا دندنة معاذ ، فقال النبي - ﷺ - : ﴿ حولها ندندن ﴾ (٥٢٩) .

وحديث : ﴿ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ... ثم سلوا الله الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ... ﴾ (٥٣٠) ، فلا مطلوب أعلى من الجنة ، ولها يعمل العاملون ، ويدعو الداعون ، ويرضى الراضون ، ويشكر الشاكرون .

٨ - قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ؛ أن طلب الجنة من الله ، والاستعاذة به من النار هو أعظم الأدعية المشروعة لجميع المرسلين ، والنبیین ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وأن ذلك لا يخرج عن كونه واجباً أو مستحباً .

وأولياء الله لا يخرجون عن هذا الطريق (٥٣١) .

٩ - أن ما قاله هؤلاء أصحاب الدرجة الثالثة : متناقض في نفسه ، فاسد في صريح المعقول .

وذلك أن الرضا عن الله محبته ومحبة أمره ، وذلك بامتنال الأمر واجتناب النهي ، ومن ذلك السؤال والطلب ، ومن لا يسأل الله الجنة ، ويستعيذه من النار ليس محباً لله ، ولا عاملاً بأوامره ، إذن فليس راضياً عن الله على ما ادعاه ولا بالله ، فكيف يكون راضياً عن الله ، غير عامل بما يرضى الله ، ويكون سبباً في رضا العبد (٥٣٢) .

وأما ما يشاركون فيه القدرية أو الجهمية وغيرهم فالجواب عنه فيما مضى ، والله الموفق .

• • •

الخاتمة :

هذا ما تيسرت كتابته وبحثه في هذا الموضوع المهم في حياة المسلمين جميعاً .
وإن من أهم النتائج التي توصلت إليها فيه ما يأتي :

- ١ - أن الرضا بالقضاء من أعمال القلوب .
- ٢ - أن الرضا بالقضاء هو اليقين القلبي المؤثر في السلوك ، الداعي إلى عدم الركون إلى الظلم وأهله ، والدافع إلى استرضاء الرب - سبحانه - بالأعمال الصالحة ، واحتمال الفقر ، والدون من المعيشة ، والقناعة باليسير ، وسكون القلب إلى فعل الله ، وحمده على ما قضاه .
- ٣ - أن الرضا بالقضاء من تمام الإيمان بالقضاء والقدر ، وأنه غاية شريفة ، ومنزلة عظيمة عند الله ، وثوابه عظيم ، فهو من منازل الشهداء ، وأنه من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات .
- ٤ - أن حقيقة الرضا بالقضاء هي : لزوم ما قضاه الله وقدره ، وذلك بعد فعل الأسباب المأمور بها ، فلا يتحقق الرضا إلا بذلك .
- ٥ - أن الرضا بالقضاء يكون بعد وقوع المقضي والمقدر ، وما قبله هو التوكل بفعل الأسباب المأمور بها ، فالرضا ثمرة التوكل ، وأعلى درجاته .
- ٦ - أن الرضا بالقضاء حال شرعية ، حقيقتها التصرف بما أمر الله به ، وترك ما نهى عنه بعد وقوع المقدور ، وهذه من خصائص العابدين وكرامات الصالحين من عباد الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((والمؤمن يخضع لأمر ربه طوعاً ، وكذلك لما يقدره من المصائب ، فإنه يفعل عندها ما أمر به من الصبر وغيره طوعاً ، فهو مسلم لله طوعاً ، خاضع له طوعاً ، والسجود مقصوده الخضوع ...)) (٥٣٣) .

٧ - أن القضاء بالمأمور بالرضا به قسمان : ديني شرعي يجب الرضا به ، وكوني قدري يستحب الرضا به ، ما لم يكن معصية لله - تعالى - ، فإن المعصية لا يرضى بها إلا من جهة أنها مصيبة ، أمّا من جهة أنها عمل يغضب الله - تعالى - فلا يرضى بها من هذا الوجه ، أي من وجه أنها معصية ، فترضى المصائب لا المعاصي والمعائب .

٨ - ممّا يجب الابتعاد عنه ؛ لأنه ينافي الرضا بالقضاء : الاعتراض على قضاء الله الديني الشرعي ، وترك التوكل على الله ، والسخط من المقدور ، والحزن على ما فات ، والنياحة ، وتمني الموت لضر نزل أو مصيبة ، وعدم الرضا بالمقسوم من الرزق ، والجزع من المصائب ، والهلع ، والشح ، والضجر ، ونحو ذلك .

٩ - تبين ضلال بعض الصوفية في باب الرضا بالقضاء ؛ حيث زعموا أن الرضا ثلاث درجات : رضى العامة ؛ الذي يصفونه بأنه الرضا بالرب ، وتسخط عبادة ما سواه ، والرضا عن الله في كل ما قضى وقدر ، وأن هذا من مسالك الخاصة ، وما علموا أن ذلك يدخل فيه الرضا بالمعاصي ، والكفر ، والفسوق .

والرضا الباعث على ترك الأسباب ، وإسقاط التمييز حتى لا يسأل الراضي - في زعمهم - الجنة ولا يستعيذه من النار .

وقد كانت مناقشتهم في هذا البحث في ضوء نصوص كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

وإني لأرى أن تكون الأبحاث في كل فن مبنية على النصوص الشرعية وبعيدة عما يعن ويخطر من المجادلات العقلية الظنية ، فإن الطريق الأول : الاستضاءة بوحى الله من الكتاب والسنة هو الأسلم والأحكم وفي نفس الوقت

هو الذي يوصل إلى الحقائق العقلية الصحيحة السليمة إن وجدت .
وأما الطريق الثاني : المبني على البراهين والحجج والجدل العقلي فحسب ،
بعيداً عن نور النصوص الشرعية أو لوي أعناقها وصرفها عن معانيها الحقيقية
فإنه لا يوصل إلى حقيقة ولا يفيد الإنسان في حياته ولا في دنياه ، ولا يؤهله إلى
العلم الصحيح النافع .
لذا فإنني عمدت إلى هذا الأسلوب في هذا البحث راجياً الله تعالى أن ينفع
به من كتبه وقرأه .

غير مدّع العصمة أو الكمال فإنه لا يكمل في هذا الميدان أحد ، فكل يؤخذ
من كلامه ويرد إلا محمد - ﷺ - وإخوانه الأنبياء ، فإن لهم العصمة من الله
فيما بلغوه للناس ، ولم يُحفظ ممّا بلغوه الناس إلا ما جاء به محمد - ﷺ - :
﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) فيجب على كل باحث مسلم أن
يبني دراساته وبحوثه على هذا الذكر الذي حفظه الله للعالمين ، ليستقي النور
والهداية والسداد والعلم والفهم منه ، فما من علم من علوم الدنيا والآخرة إلا
قد أعطاه الله ما يستحق في هذا الذكر علم ذلك من علمه وجهله من جهله ،
والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحواشي والتعليقات

- (١) انظر : عدة الصابرين لابن القيم ص ١٢٤ .
- (٢) من حديث أخرجه : الترمذي ، في كتاب الفتن ، باب ٧٣ ، ٥٢٦/٤ ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، والإمام أحمد ، في المسند ٣٩٠/٢ ، وعبد الرحيم العراقي ، في الأربعين العشارية ص ٢٠٥ ، ٢١٦ - ٢١٧ ، وذكره الهيثمي ، في مجمع الزوائد ٢٨١/٧ ، وقال : ﴿ رواه أحمد ، وفيه بن لهيعة ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ﴾ ١ هـ .
- (٣) عزاه القشيري إلى أبي سليمان الداراني . انظر : الاستقامة لابن تيمية ٦٥/٢ .
- (٤) نسبه ابن تيمية في الفتاوى ٢٥٧/٨ لابن إسرائيل الشاعر المشهور محمد بن سوار الشيباني المتوفى سنة (٦٧٧ هـ) ، وترجمته في العبر ٣١٦/٥ .
- (٥) انظر : لسان العرب ٣٢٣/١٤ ، ٣١٢/٧ - ٣١٣ ، والمصباح المنير ٢٧٢/١ .
- (٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ٦٩٧/١ وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، والطبراني في المعجم الكبير ١١٩/٥ ، والنسائي في الكبرى ٣٨٧/١ ، وفي المجتبى ٥٥/٣ ، وقال الألباني : صحيح .
- (٧) هو : إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله في النحو ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، ولد في إحدى قرى شيراز ، وقدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد الفراهيدي في العريضة ففاقه ، ورحل إلى بغداد ، فناظر الكسائي ، وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم ، وعاد إلى الأهواز فتوفي بها عام ١٨٠ هـ ، وقيل : وفاته وقبره في شيراز ، سمي سيبويه لأن أمه كانت ترقصه وهو صغير وتقول له ذلك ، وسيبويه بالفارسية : رائحة التفاح . انظر : تأريخ بغداد ١٩٥/١٢ ، والبدایة والنهاية ١٧٦/١٠ ، والأعلام ٨١/٥ .
- (٨) انظر : مختار الصحاح ص ٢٤٦ .
- (٩) انظر : مختار الصحاح ص ٢٤٦ ، والمصباح المنير ٢٧٢/١ ، ولسان العرب ٣٢٣/١٤ .

(١٠) هو : سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، البلخي ، ثم البصري ، النحوي ، الأخفش الأوسط ، أخذ العربية عن سيويه ، توفي سنة ٢١٥ هـ . أمّا الأكبر فهو عبد الحميد بن عبد المجيد ، مولى قيس بن ثعلبة ، أبو الخطاب ، من كبار العلماء بالعربية ، لقي الأعراب ، وأخذ عنهم ، وأمّا الأصغر ، فهو علي بن سليمان بن الفضل ، أبو المحاسن ، نحوي ، من أهل بغداد ، له شرح كتاب سيويه ، وغيره ، توفي ٣١٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١٠ ، والأعلام ١٠٢/٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩١/٤ .

(١١) هو : القحيف بن خمير بن سليم العقيلي ، شاعر ، عده بعض الكتاب من الطبقة العاشرة من الإسلاميين ، وكان معاصراً لذي الرمة ، توفي نحو ١٣٠ هـ . انظر : الأعلام ١٩١/٥ .

(١٢) لسان العرب ٣٢٣/١٤ - ٣٢٤ .

(١٣) انظر : لسان العرب ٣٢٣/١٤ - ٣٢٤ .

(١٤) هو : من أئمة الأدب ، والنحو ، وله شعر ، كان المتنبي يقول : ابن جني أعرف بشعري مني ، وهو عثمان بن جني الموصللي ، المولود في الموصل بأرض العراق الآن ، أبوه كان مملوكاً رومياً لسليمان الأزدي الموصللي ، له تصانيف كثيرة في الأدب واللغة ، توفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٣١١/١١ ، وشذرات الذهب ١٤٠/٣ ، والأعلام ٢٠٤/٤ .

(١٥) هو : أحد الأئمة في علم العربية ، له فيها تصانيف متعددة ، منها المقصور والممدود ، كان متهماً بالاعتزال ، اسمه الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، الفارسي الأصل ، ولد في فسا من أعمال فارس ، وتجول في كثير من البلدان ، ودخل بغداد سنة ٣٠٧ هـ ، وقدم حلب سنة ٣٤١ هـ ، فأقام مدة عند سيف الدولة ، وعاد إلى فارس ، فصحب عضد الدولة ابن بويه ، وتقدم عنده ، وعلمه النحو ، وصنف له الإيضاح في قواعد اللغة العربية ، توفي ببغداد ، سنة ٣٧٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٣٧٩/١٦ - ٣٨٠ ، والأعلام ١٧٩/٢ - ١٨٠ .

(١٦) هو : إمام في اللغة ، والنحو ، والقراءة ، قرأ النحو بعد الكبر ، مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين ، ثم أصبح من جلسائه ومؤانسيه ، اسمه علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء ، أصله من أولاد فارس ، ولد في إحدى قرى الكوفة ، وتعلم بها ، وتنقل في

البادية ، وسكن بغداد ، وتوفي بالري سنة ١٨٩ هـ عن سبعين عاماً . انظر : تاريخ

بغداد ٤٠٣/١١ ، والأعلام ٢٨٣/٤ .

(١٧) انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ .

(١٨) سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، والتوبة ١٠٠ ، والمجادلة ٢٢ ، والبيّنة ٨ .

(١٩) انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ .

(٢٠) شرح السيوطي ١٨٧/٥ ، ولسان العرب ٣٢٤/١٤ .

(٢١) لسان العرب ٣٢٤/١٤ ، وشرح السيوطي ١٨٧/٥ .

(٢٢) انظر : الزهد لابن المبارك ص ٤٣٩ .

(٢٣) هو : العالم المتفنن ، والإمام الكبير ، الفقيه ، الأصولي ، الشافعي ، المتكلم ، الخبر ،

عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي ، الإسفراييني ، ولد ونشأ في

بغداد ، ورحل إلى خراسان ، فاستقر في نيسابور ، ثم فارقها على إثر فتنة التركمان ،

كان يدرس في سبعة عشر فناً ، له صولة وجولة مع القدرية والنفاء ، توفي في أسفرائين

سنة ٤٢٩ هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٨/٣ ، والأعلام ٤٨/٤ ، وتبيين

كذب المفترى ص ٢٥٣ .

(٢٤) سورة هود : من الآية ١١٣ .

(٢٥) انظر : تفسير الطبري ١٢٧/١٢ .

(٢٦) انظر : القاموس المحيط : مادة (عتب) .

(٢٧) أخرجه الطبراني في الدعاء ص ٣١٥ ، والضياء المقدسي في المختارة ١٨١/٩ .

(٢٨) أخرجه البخاري في كتاب التمني ، باب ما يكره من التمني ، وابن حبان في صحيحه

٢٦٨/٧ .

(٢٩) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب مرفوعاً ٢٠٤/٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان

٣٦٠/٧ ، والأصبهاني في دلائل النبوة ١٣٩/٢ .

(٣٠) انظر : النهاية لابن الجوزي ، باب العين مع التاء ، وشرح السيوطي ٣/٤ ، ولسان

العرب ٥٧٨/١ .

(٣١) انظر : القاموس المحيط مادة (د ق ع) ، ولسان العرب ٨٩/٨ .

(٣٢) سورة الحج : من الآية ٣٦ .

(٣٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب برقم ٢٣٣ ، وقال : ﴿ رواه البيهقي في كتاب الزهد ، ورفع غريب ﴾ .

(٣٤) انظر : النهاية (باب القاف مع النون) ، ولسان العرب ٢٩٧/٨ - ٢٩٨ .

(٣٥) انظر : مختار الصحاح ص ٥٥٢ - ٥٥٣ .

(٣٦) سورة النجم : الآية ٤٨ .

(٣٧) انظر : مختار الصحاح ص ٥٥٣ - ٥٥٤ ، ولسان العرب ٢٠٢/١٥ - ٢٠٣ .

(٣٨) انظر : تفسير القرطبي ١٣٤/١ ، ولسان العرب ١٥٦/٣ .

(٣٩) لسان العرب ٦٤٨/١ .

(٤٠) القاموس المحيط مادة (غ ض ب) .

(٤١) انظر : شعب الإيمان للبيهقي ٣٦٦/٧ .

(٤٢) انظر : فتح الباري ٢٥٥/١١ .

(٤٣) انظر : مختار الصحاح ص ٣١١ ، ولسان العرب ٢٩٥/١٢ .

(٤٤) انظر : لسان العرب ١٨٦/١٥ ، والصحاح للجوهري ٢٤٦٣/٦ ، وتاج العروس ٢٩٦/١٠ .

(٤٥) انظر : لسان العرب ١٨٦/١٥ .

(٤٦) سورة فصلت : من الآية ٤٥ .

(٤٧) انظر : تفسير الطبري ١٢٩/٢٤ .

(٤٨) سورة فصلت : من الآية ١٢ .

(٤٩) انظر : تفسير الطبري ٩٩/٢٤ .

(٥٠) سورة البقرة : من الآية ٢٠٠ .

(٥١) انظر : تفسير القرطبي ٤٣١/٢ .

(٥٢) سورة سبأ : من الآية ١٤ .

(٥٣) تفسير الطبري ٧٣/٢٢ .

(٥٤) سورة الأنعام : من الآية ٨ .

(٥٥) انظر : تفسير القرطبي ٣٩٣/٦ .

(٥٦) سورة القصص : من الآية ٢٩ .

- (٥٧) انظر : تفسير القرطبي ٦٧/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٣٨٧/٣ .
- (٥٨) سورة الأنعام : من الآية ٢ .
- (٥٩) سورة طه : من الآية ٧٢ .
- (٦٠) انظر : تفسير الطبري ١٨٩/١٦ ، وتفسير ابن كثير ١٥٩/٣ .
- (٦١) سورة الإسراء : من الآية ٤ .
- (٦٢) انظر : تفسير الطبري ٢٠/١٥ ، وتفسير ابن كثير ٢٥/٣ .
- (٦٣) سورة القصص : من الآية ١٥ .
- (٦٤) انظر : الصحاح ٢٤٦٣/٦ ، ولسان العرب ١٨٧/١٥ .
- (٦٥) انظر : لسان العرب ١٨٦/١٥ ، وتاج العروس ٢٩٦/١٠ .
- (٦٦) سورة الإسراء : من الآية ٢٣ .
- (٦٧) انظر : تفسير الطبري ٦٢/١٥ - ٦٣ ، وابن كثير ٣٤/٣ .
- (٦٨) انظر : لسان العرب ٧٤/٥ .
- (٦٩) أخرجه البخاري في مواضع منها : كتاب التهجد ، باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى حديث ١١٦٢ ، وفي التوحيد ، باب قول الله - تعالى - : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَاهِرُ ﴾ ، وأبو داود في أول الوتر .
- (٧٠) سورة القمر : الآية ٤٩ .
- (٧١) انظر : تفسير الطبري ١١٠/٢٧ .
- (٧٢) سورة القمر : من الآية ١٢ .
- (٧٣) انظر : تفسير الطبري ٩٢/٢٧ ، ٩٣ .
- (٧٤) سورة الحجر : الآية ٦٠ .
- (٧٥) انظر : تفسير الطبري ٤١/١٤ .
- (٧٦) سورة القدر : الآية ١ .
- (٧٧) انظر : لسان العرب ٧٤/٥ .
- (٧٨) انظر : تفسير الطبري ١٨٢/٣٠ ، ولسان العرب ٧٨/٥ .
- (٧٩) سورة الرعد : من الآية ٢٦ .
- (٨٠) انظر : تفسير الطبري ١٤٤/١٣ .

- (٨١) سورة الفجر : من الآية ١٦ .
- (٨٢) سورة الأعلى : الآية ٣ .
- (٨٣) انظر : تفسير الطبري ١٥٢/٣٠ .
- (٨٤) انظر : لسان العرب ٧٧/٥ .
- (٨٥) سورة البقرة : من الآية ٢٣٦ .
- (٨٦) انظر : ترتيب القاموس المحيط ٥٧٠/٣ ، وتاج العروس ٤٨٢/٣ ، ولسان العرب ٧٦/٥ .
- (٨٧) أخرجه البخاري في مواضع منها : كتاب الصيام ، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ... حديث ١٨٩٩ ، ومسلم في كتاب الصيام ، باب : وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ٧٥٩/٢ - ٧٦٠ ، حديث ١٠٨٠ .
- (٨٨) النهاية في غريب الحديث ٢٣/٤ ، وانظر : لسان العرب ٧٨/٥ .
- (٨٩) انظر : المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٥ .
- (٩٠) سورة الطلاق : من الآية ٣ .
- (٩١) سورة القمر : الآية ٤٩ .
- (٩٢) سورة الأحزاب : من الآية ٣٨ .
- (٩٣) سورة البقرة : من الآية ١١٧ .
- (٩٤) شفاء العليل ص ٢٨ ، وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ٢٦٢/٢ ، برقم ١٨٧٩ ، ط دار الراية - الرياض وجدة ، تحقيق : عثمان آدم الأثيوبي .
- (٩٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٣ ، ولوامع الأنوار البهية ، للسفاريني ٣٤٨/١ ، والقضاء والقدر للدكتور عبدالرحمن المحمود ص ٣٩ ، وغيرها .
- (٩٦) سورة فاطر : من الآية ٨ . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٠ .
- (٩٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة ... وقال محقق الكتاب - د . أحمد بن سعد حمدان - : ((سنده ثقات ، ما عدا شيخ المؤلف وشيخه ، فإني لم أجدهما)) ١ هـ .
- (٩٨) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٠٢ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، وابن بطة في الإبانة (٢٠٧/٢) ، والطبراني من قول ابن عباس - رضي الله عنهما - في الكبير ٢٦٠/١٠ .

- (٩٩) لسان العرب ١٨٦/١٥ ، والنهاية في غريب الحديث ٧٨/٤ .
- (١٠٠) ذكر أقوال من فرق بين القضاء والقدر ، وأدلته : جمع من العلماء ، والباحثين ، أمثال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في مجموعة التوحيد (ص ٢٣٥) ، ود . عبدالرحمن المحمود في القضاء والقدر ص ٣٩ ، ود . عمر الأشقر في القضاء والقدر ص ٢٧ - ٢٨ ، وغيرهم ، ولم أر مناسبة لذكرها هنا .
- (١٠١) مدارج السالكين ١٧٧/٢ .
- (١٠٢) مدارج السالكين ١٧٧/٢ .
- (١٠٣) شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٧/١ .
- (١٠٤) التعريفات للجرجاني ١٤٨/٢ ، وانظر : التعاريف للمناوي ٣٦٦/٢ .
- (١٠٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٢/١ ، هكذا من قول ابن مسعود ، وفي الأربعين الصغرى عنه مرفوعاً (٩٩/٢) ، وانظر : ص ٤٥ هامش (٣) من هذا البحث .
- (١٠٦) الرضا لابن أبي الدنيا ص ٣٤ .
- (١٠٧) التعريف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١٠٢ .
- (١٠٨) التعريف للكلاباذي ص ١٠٢ .
- (١٠٩) التعريف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٢ .
- (١١٠) شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٨/١ .
- (١١١) شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٨/١ .
- (١١٢) المرجع السابق نفسه .
- (١١٣) هو : الزاهد الصوفي ، المجاهد ، أبو علي ، شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي ، البلخي ، من مشاهير مشائخ خراسان ، وهو أول من تكلم في علوم الأحوال الصوفية ، استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر سنة ١٩٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٣١٣/٩ ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢١/٢ ، والأعلام ١٧١/٣ .
- (١١٤) في الأصل : أربع .
- (١١٥) حلية الأولياء ٦١/٨ .
- (١١٦) هو : العالم ، الأديب ، الحكيم ، اللغوي ، المفسر ، صاحب التصانيف الكثيرة ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني ، سكن بغداد ، واشتهر حتى يقال : كان

- يقرن بالإمام الغزالي ، توفي سنة ٥٠٢ هـ . انظر : تأريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص ١١٢ - ١١٣ ، معجم المؤلفين ٥٩/٤ ، والأعلام ٢٥٥/٢ .
- (١١٧) المفردات في غريب القرآن ص ١٩٧ .
- (١١٨) سورة الأنبياء : ٢٣ .
- (١١٩) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ٣١٥/٤ .
- (١٢٠) انظر : مدارج السالكين ١٧١/٢ .
- (١٢١) الاستقامة ٦٥/٢ .
- (١٢٢) انظر : الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي ص ٣٤ ، والرضا عن الله لابن أبي الدنيا ص ٨٨ .
- (١٢٣) فتح الباري ٢٧٢/١١ .
- (١٢٤) الرضا لابن أبي الدنيا ص ٨٤ .
- (١٢٥) المرجع السابق نفس الصفحة .
- (١٢٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٣١/١٠ .
- (١٢٧) الرضا لابن أبي الدنيا ص ٣٤ .
- (١٢٨) سورة الشورى : الآية ٣٠ .
- (١٢٩) الرضا لابن أبي الدنيا ص ٦٤ .
- (١٣٠) هي : الصالحة المشهورة ، من أهل البصرة ، أم الخير ، رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، لها أخبار في العبادة ، والنسك ، ولها شعر ، توفيت بالقدس سنة ١٣٥ هـ ، وقيل : بالبصرة سنة ١٨٥ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢٨٥/٢ - ٢٨٨ ، والأعلام ١٠/٣ .
- (١٣١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٢ .
- (١٣٢) هو : أحد أئمة الصوفية ، وعلمائهم ، والمتكلمين فيما يسمونه علوم الإخلاص ، والرياضات وغيوب الأفعال ، أبو محمد سهيل بن عبد الله بن يونس التستري ، توفي سنة ٢٨٣ هـ . انظر : حلية الأولياء ١٨٩/١٠ ، والأعلام ١٤٣/٣ .
- (١٣٣) سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، والتوبة ١٠٠ ، والمجادلة ٢٢ ، والبيّنة ٨ .
- (١٣٤) سورة الزمر : من الآية ٧٥ .

- (١٣٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٢ .
- (١٣٦) شعب الإيمان للبيهقي ٢٣١/٧ .
- (١٣٧) شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٨/١ ، ٢٢٨/٧ .
- (١٣٨) شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٨/٧ .
- (١٣٩) هو : الإمام الحافظ ، النحوي ، الفقيه ، العلامة ، الأخباري ، أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ، العتكي ، الأزدي ، الواسطي ، صاحب التصانيف المشهور بنفطويه ؛ سمي بذلك لتأييده مذهب سيويه في النحو ، وهو على مذهب داود الظاهري ، توفي سنة ٣٢٣ . انظر : سير أعلام النبلاء ٧٥/١٥ - ٧٧ ، وتاريخ بغداد ١٥٩/٦ .
- (١٤٠) شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٨/٧ .
- (١٤١) شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٩/٧ .
- (١٤٢) هو : المتصوف ، العجاج ، أبو عبد الله الساجي ، سعيد بن يزيد ، أقواله في التصوف كثيرة ، ذكر كثيراً منها أبو نعيم في الحلية ٣١٠/٩ - ٣١٧ .
- (١٤٣) حلية الأولياء ٣١٥/٩ .
- (١٤٤) حلية الأولياء ٣٤٢/٩ .
- (١٤٥) مدارج السالكين ١٧٥/٢ .
- (١٤٦) مدارج السالكين ١٧٥/٢ .
- (١٤٧) مفتاح دار السعادة ٢٩٦/١ .
- (١٤٨) التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٤٣/١٠ .
- (١٤٩) الكلام على أن الحسنه من الله والسيئة من النفس ، ضمن فتاوى ابن تيمية ٢٠٧/٨ ، والحسنه والسيئة له أيضاً ٣٠١/١٤ .
- (١٥٠) الزهد وصفة الزاهدين ص ٢١ .
- (١٥١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب الغنى غنى النفس ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب : ليس الغنى عن كثرة العرض ٧٢٦/٢ .
- (١٥٢) انظر : تحفة الأحوذى ٣٦/٧ .
- (١٥٣) شرح صحيح مسلم ٢٨/١٧ .

(١٥٤) شرح صحيح مسلم ٢٨/١٧ .

(١٥٥) انظر : الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي ص ٢٦ .

(١٥٦) سؤال عما ذكر عن أبي سليمان الداراني في تعريف الرضا ضمن فتاوى ابن تيمية ٦٨٦/١٠ .

(١٥٧) الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي ص ٢١ .

(١٥٨) القناعة : الرضى بالقسمة ، وعرفاً : الاقتصار على الكفاف ، ويقال : الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها .

وفي اصطلاح الصوفية : السكون عند عدم المألوفات . انظر : التعاريف للمناوي

٥٩٠/٢ ، والقناعة للدينوي ص ٤٠ ، والتعريفات للجرجاني ٢٢٩/٢ .

(١٥٩) التمهيد لابن عبد البر ١١١/٤ .

(١٦٠) هو : شاعر الغزل ، صريع الغواني ، وأول من أكثر من البديع ، أبو الوليد مسلم بن

الوليد الأنصاري بالولاء ، الكوفي ، ثمَّ البغدادي ، اتصل بالفضل بن سهل ، فولاه بريد

جرجان إلى أن مات سنة ٢٠٨ هـ . انظر : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة

١٨٦/٢ ، وتاريخ بغداد ٩٦/١٣ .

(١٦١) التمهيد لابن عبد البر ١١١/٤ .

(١٦٢) تفسير القرطبي ٣٤٠/٥ .

(١٦٣) هو : الشاعر الفحل ، المخضرم ، أشعر هذيل من غير مدافعة ، خويلد بن خالد بن

محرق ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وفد على النبي - ﷺ - ليلة وفاته ، فأدركه وهو

مسجى وشهد دفنه ، وسكن المدينة ، وعاش إلى أيام عثمان - رضي الله عنه - ،

واشترك في الغزو والفتوح ، إلى أن مات بمصر أو بإفريقية نحو سنة ٢٧ هـ . انظر :

الإصابة في تمييز الصحابة ٣٦٤/٢ ، والاستيعاب ١٦٤٨/٨ ، والأعلام للزركلي

٣٢٥/٢ .

(١٦٤) القناعة للدينوري ص ٤٠ .

(١٦٥) هو : أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، أبو عقيل ليث بن ربيعة بن مالك

العامري من عالية نجد ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبي - ﷺ - ، ويعد من

الصحابه ، ومن المؤلفه قلوبهم ، سكن الكوفه ، وكان كريماً ، توفي سنة ٤١ هـ . انظر :
 جهره أشعار العرب طبعه جامعه الإمام ٣٤٧/١ ، وطبقات ابن سعد ٢٠/٦ .
 (١٦٦) القناعه للدينوري ص ٤٠ .
 (١٦٧) سورة البينه : الآيتان ٧ ، ٨ .
 (١٦٨) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب التواضع ، وابن حبان في صحيحه ٨٥/٢ ،
 والبيهقي في السنن الكبرى ٢١٩/١٠ ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند ٢٥٦/٦ ،
 وغيرهم .

(١٦٩) انظر : مدارج السالكين ١٧١/٢ .
 (١٧٠) انظر : مدارج السالكين ١٧٢/٢ .
 (١٧١) انظر : مدارج السالكين ١٧١/٢ .
 (١٧٢) انظر : مدارج السالكين ١٧١/٢ .
 (١٧٣) مدارج السالكين ١٣٥/١ .
 (١٧٤) مدارج السالكين ١٧٣/١ .
 (١٧٥) انظر : التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٥/١٠ ، ٦ .
 (١٧٦) انظر : فتاوى ابن تيمية ٢٧/١٧ ، والفوائد لابن القيم ٩٣/١ .
 (١٧٧) انظر : التوكل على الله للباحث ص ٤٢ ، ٨٦ .
 (١٧٨) انظر : طريق المهجرتين ٥٠٠/١ ، ومدارج السالكين ١٧٤/٢ ، وشفاء العليل
 ص ٢٧٨ ، وجواب أهل العلم ضمن فتاوى ابن تيمية ٢٧/١٧ .
 (١٧٩) شعب الإيمان للبيهقي ١١٠/٢ .
 (١٨٠) سورة التوبة : الآية ٥٩ .
 (١٨١) تفسير ابن كثير ٣٦٤/٢ .
 (١٨٢) التحفة العراقية .. ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٧/١٠ .

(١٨٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٦٩٧/١ وقال : حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وابن
 حبان في صحيحه ٣٠٥/٥ ، والنسائي في المجتبى ٥٥/٣ ، وصححه الألباني ، وفي
 الكبرى ٣٨٧/١ برقم ١٢٣٠ ، وأبو يعلى في مسنده ١٩٥/٣ ، وأحمد في المسند
 ١٩١/٥ ، والطبراني في مسند الشاميين ٣٥١/٢ ، والدارقطني في رؤية الله ١٣٣/١ ،

- ١٣٤ ، ١٥٨ ، والسنة لابن أبي عاصم ١٨٦/١ ، وقال الألباني : إسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات .
- (١٨٤) مدارج السالكين ١٧٧/٢ .
- (١٨٥) هو : شيخ الصوفية ، أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، البغدادي ، قيل : أول من تكلم في علم الفناء ، والبقاء ، له تصانيف في علوم القوم ، توفي سنة ٢٨٦ هـ . انظر : شذرات الذهب ١٩٢/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤٢١/١٣ ، وتذكرة الحفاظ ٦٣٧/٢ .
- (١٨٦) شعب الإيمان للبيهقي ٢١٧/١ .
- (١٨٧) مدارج السالكين ١٧٧/٢ .
- (١٨٨) التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٧/١٠ .
- (١٨٩) سورة آل عمران : الآية ١٤٣ .
- (١٩٠) سورة الصف : الآيات ٢ - ٤ .
- (١٩١) انظر : تفسير الطبري ٨٣/٢٨ ، ٨٤ ، وتفسير ابن كثير ٣٥٨/٤ .
- (١٩٢) سبق تخريجه في ص ١١ .
- (١٩٣) انظر : التوكل على الله للمؤلف ص ٨٧ .
- (١٩٤) سورة البقرة : الآية ٢١٦ .
- (١٩٥) انظر : شفاء العليل لابن القيم ص ٣٣ .
- (١٩٦) سورة الحديد : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
- (١٩٧) انظر : تفسير الطبري ٢٣٣/٢٧ - ٢٣٥ ، وتفسير ابن كثير ٣١٣/٤ - ٣١٤ .
- (١٩٨) سورة التغابن : الآيات ١١ - ١٣ .
- (١٩٩) انظر : تفسير الطبري ١٢٣/٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٣٧٥/٤ .
- (٢٠٠) سورة النجم : الآية ٤٨ .
- (٢٠١) انظر : فتح الباري ٦٠٦/٨ .
- (٢٠٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً ... فهو مؤمن ... ٦٢/١ ، والترمذي في كتاب الإيمان ، باب ١٠ ، ١٤/٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن حبان في صحيحه في ذكر طعم الإيمان ٥٩٢/٤ .

(٢٠٣) أخرجه مسلم في الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ... ٢٨٨/١ ، والنسائي في الكبرى ٥١١/١ ، ٢٣/٦ ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب ماجاء في الدعاء بين الأذان والإقامة ١٤٥/١ ، وصححه الألباني ، وأخرجه الترمذي في باب الدعاء عند الأذان ٢٧/٢ وقال الألباني : صحيح .

(٢٠٤) سبق تخريجه ص ١١ .

(٢٠٥) أخرجه البخاري - بغير هذا اللفظ - في كتاب الجنائز ، باب قول النبي ﷺ : ﴿ إنا بك نخزون ﴾ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب رحمته بالصبيان والعيال ... ١٨٠٧/٤ .

(٢٠٦) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، والرقائق ، والورع ، باب ٥٩ ، ٦٦٧/٤ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . قال الألباني : وهو كما قال . وأخرجه النقاش في فوائد العراقيين ، وقال محققه : ﴿ صحيح وإسناده حسن ﴾ ، وأحمد في المسند ٢٩٣/٢ ، ومواضع أخرى بألفاظ أخرى ، وله ألفاظ أخرى ، وأسانيد بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف .

(٢٠٧) في باب التوكل ، وفي سنده يحيى بن ميمون بن عطاء ، أبو أيوب متروك ، عن علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف . انظر : هامش السنة لابن أبي عاصم ١٣٨/١ - ١٣٩ ، وأخرجه من نفس الطريق عن أبي سعيد أبو يعلى الموصلي في معجمه ص ١٠١ ، وقد حكم الألباني على جميع طرقه وألفاظه في تخريجه الحديث عند تحقيق كتاب السنة لابن أبي عاصم ، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة ، فليرجع إلى ذلك من رغب الاستزادة .

(٢٠٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣١٧/٥ ، والترمذي بنحوه في كتاب القدر ، باب ١٧ ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . وذكر الضياء المقدسي في مختاراته في ٣٥١/٨ ، وقال : إسناده حسن بالمتابعة ، وفي ٣٥٣/٨ .

(٢٠٩) الجواب : الوعاء ، وقيل : المزود ، يصنع من الإهاب ، أي الجلد . انظر : لسان العرب ٢٦١/١ .

(٢١٠) قفى : رجع . انظر : صحيح البخاري موضع هذا الحديث الرواية الأخرى .

(٢١١) سورة إبراهيم : من الآية ٣٧ .

(٢١٢) يتلبط : أي يتمرغ مضطجعا . انظر : لسان العرب ٣٨٨/٧ .

(٢١٣) في الرواية الأخرى : ﴿ أغث إن كان عندك خير ﴾ .

- (٢١٤) تحوضه : تعمل له أحواضاً حتى لا يجري ظانة أنه بجريانه ينتهي .
- (٢١٥) جرهم : قبيلة من تهائم اليمن ، لحقوا بمكة ، ونزلوا على إسماعيل عليه السلام ، ولو أمر الكعبة بعد ولد نابت بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وآخر ملوكهم الحارث مضاض بن عمرو ، أجلتهم خزاعة من مكة . انظر : معجم البلدان ٢٠٠٤/٥ ، ٤٤٢ ، وتفسير ابن كثير ٤/٤٩٦ ، وفتح الباري ٦/٥٤٨ .
- (٢١٦) كداء : بفتح أوله ، ممدود ، لا يصرف لأنه مؤنث : جبل بمكة ، يقال : هو عرفة ، وقيل : هو ثنية كدي ، ولعله الصحيح . انظر : عون المعبود ٥/٢٢٦ ، ومعجم ما استعجم للبكري ٤/١١١٧ .
- (٢١٧) عائفاً : العائف : الكاره للشيء . انظر : منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير ص ٥٣٠ ، ومختار الصحاح ص ٤٦٦ .
- (٢١٨) الجري : الوكيل الواحد ، أو الرسول ، أو الغلام . انظر : لسان العرب ١٤/١٤٢ ، ومختار الصحاح ص ١٠١ .
- (٢١٩) وهذا تسخط وعدم رضا .
- (٢٢٠) العتبة : أسكفة الباب التي يوطأ عليها . انظر : مختار الصحاح ص ٤١٠ ، والمصباح المنير ١/٤٦٤ .
- (٢٢١) أنس : الأنس ضد الوحشة ، والأنيس الذي يستأنس به . انظر : إكمال الإعلام بتبليث الكلام ١/٥٤ ، المشوف المعلم ١/٨٢ ، والمصباح المنير ١/٣٤ .
- (٢٢٢) وهذا رضا بالقدر المقضي من الرزق لهم .
- (٢٢٣) الأكمة : الراية . انظر : منال الطالب لابن الأثير ص ١١١ ، والمصباح المنير للفيومي ١/٢٥ .
- (٢٢٤) سورة البقرة : من الآية ١٢٧ .
- (٢٢٥) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : يزفون النسلان في المشي ، والبيهقي في الكبرى ٥/٩٨ ، والنسائي في الكبرى ٥/١٠١ وغيرهم .
- (٢٢٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٣٢ .
- (٢٢٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٣٢ .

(٢٢٨) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب ومن سورة السجدة ٣٤٧/٥ ، وقال الترمذي : ﴿ هذا حديث حسن صحيح ، وروى بعضهم هذا الحديث عن الشعبي عن المغيرة ، ولم يرفعه ، والمرفوع أصح ﴾ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٤/٢١ .

(٢٢٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١٤/١ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٩٩/٦ ، وذكر الضياء المقدسي في المختارة وقال : إسناده حسن . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٩/٨ : ﴿ رواه الطبراني وفيه أيوب بن سليمان بن عبد الله بن حذلم ، ولم أعرفه ولا والده ، وبقية رجاله ثقات ﴾ .

(٢٣٠) انظر : الزهد لابن أبي عاصم ٢/٢١٠ ، والزهد لابن السري ٢/٤١٤ ، وأورده ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول ، عن يحيى بن كثير ص ١٥٥ .

(٢٣١) هو : شيخ الحرم ، أحد الأئمة العباد ، عبدالعزيز بن ميمون - وقيل ابن أيمن - بن بدر ، مولى الأمير المهلب بن أبي صفرة ، الأزدي المكي ، كان على مذهب المرجئة ، مات على بدعته سنة ١٥٩ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٧/١٨٤ - ١٨٧ ، وطبقات ابن سعد ٥/٤٩٣ .

(٢٣٢) سير أعلام النبلاء ٧/١٨٥ ، والجامع لأخلاق الراوي ١/١٧٧ ، وحلية الأولياء ٨/١٩٢ .

(٢٣٣) هداية الحيارى لابن القيم ١/١٢٨ .

(٢٣٤) سورة إبراهيم : من الآية ٧ .

(٢٣٥) سورة يونس : الآية ٥٨ .

(٢٣٦) سورة البينة : الآيتان ٧ ، ٨ .

(٢٣٧) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٢٣٨) الاستقامة ٢/٨٠ .

(٢٣٩) الأنفال : ٦٩ .

(٢٤٠) سورة الأنفال : من الآية ١٢ .

(٢٤١) سورة الليل : الآيات ٥ - ١٠ .

(٢٤٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع في صحيحه ، منها في تفسير سورة الليل ، ومسلم في أول كتاب القدر ٤/٢٠٤٠ ، وابن حبان في مواضع منها ٢/٤٦ ، وغيرهم .

- (٢٤٣) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٣٨، التوكل على الله للباحت ص ٨٨.
- (٢٤٤) سورة غافر: من الآية ٦٠.
- (٢٤٥) سورة البقرة: من الآية ١٨٦.
- (٢٤٦) سورة الأعراف: من الآية ١٨٠.
- (٢٤٧) سورة الأعراف: من الآية ٥٥.
- (٢٤٨) سورة الأنفال: الآية ٩.
- (٢٤٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠/١، ٣٢، بإسناد حسن في الموضعين، انظر: المسند بتحقيق: الأرناؤوط وزملائه (١/٣٣٦، ٣٤٦)، وابن حبان في صحيحه ١١/١١٤، والترمذي في كتاب التفسير، باب: ومن سورة الأنفال، وقال: ﴿هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث عمر إلا من حديث عكرمة...﴾، ومسلم - بغير هذا اللفظ - في كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر... ١٣٨٣/٣، ١٣٨٣.
- (٢٥٠) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ٢، وأحمد في المسند ٢/٤٤٢، وقال محققو المسند: ﴿إسناده ضعيف﴾ ١٥/٤٣٨، وأبو يعلى في مسنده، وقال المحقق الشيخ حسين أسد: ﴿إسناده حسن﴾ ١٢/١٠، والحاكم في المستدرک ١/٦٦٧، ٦٦٨، وصححه.
- (٢٥١) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٣٨.
- (٢٥٢) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٣١.
- (٢٥٣) سورة البقرة: الآية ١٨٦.
- (٢٥٤) سورة يونس: الآية ١٢.
- (٢٥٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/٣٤، والقضاعي في مسند الشهاب ١/٣٤٠، والبخاري في خلق أفعال العباد، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٤١٣، ٤١٤، ٣/٤٦٧، والبزار في مسنده (١/٢٤٧)، والترمذي في سننه بلفظ: ((من شغله القرآن...)) في كتاب فضائل القرآن، باب [٢٥].
- (٢٥٦) انظر: مدارج السالكين ٢/٢١٧.

(٢٥٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٨٠/١ من قول الحسن البصري ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة ٨٣٩١/٤ عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ ، والصحيح أنه من كلام الحسن ، والله أعلم .

(٢٥٨) سورة القصص : من الآية ٧٦ - ٧٨ .

(٢٥٩) انظر : تفسير الطبري ١١٣/٢٠ .

(٢٦٠) سورة القصص : من الآية ٧٩ .

(٢٦١) سورة القصص : من الآية ٨٢ .

(٢٦٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤٠٢/٣ .

(٢٦٣) انظر : مدارج السالكين ١٧٤/٢ .

(٢٦٤) انظر : شفاء العليل ص ٢٧٨ .

(٢٦٥) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ... ، باب ماجاء في الصبر على البلاء ، وقال : ﴿ وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ﴾ ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، وقال الألباني : ﴿ حسن ﴾ ، والشهابي في مسنده ، عن أنس عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : ﴿ إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله - عز وجل - إذا أحب ... ﴾ إ ١٧٠/٢ .

(٢٦٦) هم : الفقراء الغرباء ، الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي - ﷺ - ، وكانت لهم في آخره صفة - مكان منقطع من المسجد مظلل يبيتون فيه - . انظر : تفسير الطبري ٢١/٢٦ ، وتفسير القرطبي ١٠٨/٨ ، وهامش صحيح مسلم الموضع الآتي .

(٢٦٧) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥١١/٣ ، وأحمد في المسند ٢٧٠/٣ .

(٢٦٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢١٩/١ ، والشاشي في مسنده ٢٢٤/٢ ، وأبو يعلى في مسنده ٦/٢ ، وقال الشيخ حسين أسد : ﴿ إسناده ضعيف ﴾ ، والبزار في مسنده ٣٠٥/٣ ، والترمذي بنحوه في كتاب القدر ، باب ماجاء في الرضا بالقضاء ٤٥٥/٤ ، وقال : ﴿ هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد ... وليس بالقوي عند أهل الحديث ﴾ . وانظر : مجمع الزوائد ٢٧٩/٢ .

(٢٦٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢١٥/١٠ ، وقال الهيثمي : ﴿ فيه خالد بن يزيد العمري واتهم بالوضع ﴾ . مجمع الزوائد ٧٤/٤ ، وأخرجه البيهقي في الأربعين الصغرى ٩٩/٢ مرسلاً عن سفيان الثوري عن منصور عن خيثمة عن ابن مسعود ، لكن ذلك يدل أن له طريقاً آخر موصولاً غير طريق خالد بن يزيد العمري ، ولعله من قول ابن مسعود ، كما سبق ص ١٥ .

(٢٧٠) شفاء العليل ص ٢٧٨ .

(٢٧١) انظر : صحيح مسلم في أول كتاب الإيمان ٣٧/١ .

(٢٧٢) أخرجه ابن أبي الدنيا مرفوعاً إلى النبي - ﷺ - بسند حسن ٨٥/٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٢١٩/١ ، وأبو نعيم في الحلية ٢١٦/١ ، وابن المبارك في الزهد ص ٣١ موقوفاً على أبي الدرداء .

(٢٧٣) عدة الصابرين ١٢٤/١ .

(٢٧٤) انظر : مدارج السالكين ١٣٧/١ .

(٢٧٥) انظر : تحفة الأحوذى ٥٢٩/١ .

(٢٧٦) مدارج السالكين ١٧٤/٢ ، وانظر : الفوائد ٩٣/١ .

(٢٧٧) جواب أهل العلم والإيمان ضمن فتاوى ابن تيمية ٢٧/١٧ .

(٢٧٨) حلية الأولياء ٩٧/٨ .

(٢٧٩) ذكره ابن تيمية في الاستقامة ٨٤/٢ وقال : ((هذا الكلام كلام حسن ، وإن لم يعلم إسناده)) .

(٢٨٠) الاستقامة ٨١/٢ .

(٢٨١) هو : الإمام ، العلامة ، الفقيه ، الشافعي ، المتكلم ، النحوي ، المفسر ، اللغوي ، الصوفي ، شيخ خراسان ، حبر زمانه ، وبقية أقرانه ، محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون العجلي ، الصعلوكي النيسابوري ، من بني حنيفة ، تلميذ ابن خزيمة ، والسراج وغيرهما ، ومن أبرز تلاميذه : أبو عبد الرحمن السلمي ، ولد أبو سهل سنة ست وتسعين ومائتين ، وتوفي في ذي القعدة سنة تسع وستين وثلاثمائة للهجرة .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣٥/١٦ - ٢٣٩ ، وشذرات الذهب ٦٩/٣ - ٧٠ .

(٢٨٢) شعب الإيمان للبيهقي ١٠٧/٣ .

(٢٨٣) تهذيب مستمر الأوهام لابن مأكولا ص ١٠٣ ، وانظر : ذيل التقييد لأبي الخطيب

. ٢٣٣/٢

(٢٨٤) ص ١٥٦ .

(٢٨٥) تاريخ ابن معين برواية الدوري ٤٠٦/٤ .

(٢٨٦) الشقائق النعمانية ، والعقد المنظوم ٣٤٠/٢ .

(٢٨٧) انظر : شفاء العليل لابن القيم ص ٢٧٨ .

(٢٨٨) سورة الشورى : من الآية ١١ .

(٢٨٩) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، ٣٩٨/٣ ، وانظر : ذم التأويل

لابن قدامة ص ١٣ ، والاعتقاد للبيهقي ١١٦/٢ .

(٢٩٠) سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، والتوبة ١٠٠ ، والمجادلة ٢٢ ، والبيّنة ٨ .

(٢٩١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة

الحياء وكونه من الإيمان ٦٣/١ ، وابن حبان في صحيحه في ذكر البيان بأن قوله

﴿...﴾ : ﴿الإيمان بضع وسبعون باباً...﴾ ٤٢٠/١ ، ٤٠٧ ، ومواضع أخرى .

(٢٩٢) سورة الحشر : من الآية ٧ .

(٢٩٣) سورة الإسراء : من الآية ٢٣ .

(٢٩٤) سورة التوبة : الآية ٥٩ .

(٢٩٥) مراتب المحبة ، ضمن فتاوى ابن تيمية ١٩٠/٨ .

(٢٩٦) سورة الأنعام : من الآية ١١٤ .

(٢٩٧) سورة الأنعام : من الآية ١٣ .

(٢٩٨) سورة الأنعام : من الآية ١٦٤ .

(٢٩٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب من كره أن يعود في الكفر ، ومسلم في كتاب

الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن ... ٦٦/١ ، وأحمد ١٠٣/٣ ، وغيرهم .

(٣٠٠) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٧٨/٥ ، عن أبي قتادة ، وقال العجلوني في كشف الخفاء

٢٣٩/٢ : ﴿ورجاله رجال الصحيح﴾ .

(٣٠١) شعب الإيمان للبيهقي ٥٣/٥ ، وقد ذكره أبو نعيم بمعناه في الحلية ١٩٦/٢ عن ابن عمر

مرفوعاً إلى النبي - ﷺ - وقال : غريب ، من حديث الزهري ولم نكتبه إلا من هذا

الوجه ، قال العجلوني : وأخرجه ابن عساكر عن ابن عمر مرفوعاً - أيضاً - إلى النبي ﷺ - بلفظ : ﴿ ما ترك عبد لله أمراً لا يتركه إلا لله عوضه الله منه ما هو خير له منه في دينه ودنياه ﴾ كشف الخفاء ٢/٢٣٩ .

(٣٠٢) الاستقامة ٢/٨٠ - ٨١ .

(٣٠٣) المرجع السابق نفس الموضع .

(٣٠٤) سورة التوبة : الآية ٥٨ .

(٣٠٥) سورة محمد : من الآية ٢٨ .

(٣٠٦) سورة التوبة : الآية ٦٢ .

(٣٠٧) سورة المائدة : الآية ٤٩ .

(٣٠٨) تفسير الطبري ٦/٢٧٣ .

(٣٠٩) انظر : شفاء العليل ص ٢٧٨ .

(٣١٠) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٣١١) انظر : مدارج السالكين ٢/١٩٢ ، وتفسير الطبري ٥/١٩٨ - ١٥٩ .

(٣١٢) مدارج السالكين ٢/١٩٢ .

(٣١٣) انظر : الفتاوى ٨/١٩٠ .

(٣١٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في التفسير ، باب ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا... ﴾ ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ٣/١٣٩٣ - ١٣٩٧ ، وأحمد

في المسند ١/٢٦٢ وغيرهم .

(٣١٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٤ .

(٣١٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

(٣١٧) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٣١٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق

١/١١٥ ، والإمام أحمد في المسند ٢/٤١٢ .

(٣١٩) طريق المجترين ١/٦٦ - ٦٧ .

(٣٢٠) سورة التوبة : الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

(٣٢١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٠ .

- (٣٢٢) مجموع الفتاوى ٢٤٦/٨ .
- (٣٢٣) سورة يس : الآية ٨٢ .
- (٣٢٤) سورة الأنعام : الآيتان ٥٩ ، ٦٠ .
- (٣٢٥) سورة آل عمران : من الآية ٤٧ ، وسورة المائدة : من الآية ١٧ .
- (٣٢٦) سورة الأعراف : من الآية ٥٤ .
- (٣٢٧) سورة البقرة : من الآية ١١٧ .
- (٣٢٨) انظر : مدارج السالكين ١٩٣/٢ .
- (٣٢٩) سورة إبراهيم : من الآية ٧ .
- (٣٣٠) أخرجه البخاري في أول كتاب المرضى وفيه عدة أحاديث لهذا المقام .
- (٣٣١) أخرجه مسلم في البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ١٩٩١/٤ ، وابن حبان في صحيحه ١٦٧/٧ ، والترمذي في أول الجنائز وقال : ﴿ حسن صحيح ﴾ ، والبيهقي في الكبرى في كتاب الجنائز ، باب : ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه بلفظ مقارب لهذا .
- (٣٣٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٤٧/١ ، وقال : ﴿ صحيح الإسناد ﴾ ووافقه الذهبي فقال : ﴿ صحيح ﴾ ، والبيهقي في شعب الإيمان ١٦٥/٧ .
- (٣٣٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ... ١٩٩١/٤ ، والنسائي في الكبرى ٣٥٢/٤ ، في كتاب الطب ، باب شدة المرض ، وباب وضع اليد على المريض ٣٥٧/٤ ، والبيهقي في الكبرى في كتاب الجنائز ، باب : ما ينبغي لكل مسلم ... ٣٧٢/٣ ، وبنحوه البخاري في كتاب المرضى ، باب شدة المرض .
- (٣٣٤) سورة يوسف : من الآيتين ١٨ ، ٨٣ .
- (٣٣٥) عدة الصابرين لابن القيم ٧٨/١ .
- (٣٣٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرک ٥٠٩/١ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبد الله عن أبيه ، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه ، وابن حبان في صحيحه ٢٥٣/٣ ، والطبراني في الدعاء ص ٣١٥ ، وأبو يعلى في مسنده ٢٠٠/٩ ، وأحمد في المسند ٣٩١/١ .

(٣٣٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٥٠٧/٢ ، وذكره الضياء في المختارة ١٩٦/٥ ، وقال :
﴿إسناده صحيح﴾ ، وأحمد في المسند ٢٤/٥ .

(٣٣٨) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥/٤ ، وابن حبان في صحيحه ١٥٥/٧ ، والبيهقي في الكبرى ٣٧٥/٣ ، والإمام أحمد في المسند ٣٣٣ ، ٣٣٢/٤ ، وغيرهم .

(٣٣٩) انظر : فتح الباري لابن حجر ١٠٥/١٠ .

(٣٤٠) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٥١٨ .

(٣٤١) النياحة : رفع الصوت بالبكاء مع ما يصاحب ذلك من الدعاء بالويل والثبور ، ونحو ذلك . انظر : تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، لسليمان بن عبد الله ص ٤٥٥ ، ٥١٤ .

(٣٤٢) الحلق : حلق الشعر إظهاراً للتسخط من القضاء والقدر . انظر : لسان العرب ٦٠/١٠ .

(٣٤٣) الشق : شق الثوب إظهاراً للتسخط أيضاً . انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٥١٥ .

(٣٤٤) الصلق : رفع الصوت ، وقد يصاحبه ضرب الخد . انظر : لسان العرب ٦٠/١٠ ، ٢٠٥ .

(٣٤٥) انظر : نيل الأوطار للشوكاني ١٥٦/٤ .

(٣٤٦) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ٢١٢/١٣ .

(٣٤٧) سورة الكهف : الآية ٦٢ .

(٣٤٨) انظر : تفسير القرطبي ١٤/١١ .

(٣٤٩) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يتق برضاه بذلك ويتحقق تحققاً تاماً ، ١٦٠٩/٣ ، وانظر : كتاب الزهد لابن المبارك ص ٤١٢ ، ومسند أبي يعلى بإسناد قوي ٤١/١١ ، والمعجم الكبير للطبراني ٢٥٧/١٩ .

(٣٥٠) سورة يوسف : من الآية ٨٦ .

(٣٥١) سورة الأنبياء : الآية ٨٣ ، وجزء من الآية ٨٤ .

(٣٥٢) انظر : فتح الباري ١٠/١٢٤ ، والعبودية ، لابن تيمية ص ٩٣ - ٩٥ ، ومجموع الفتاوى ٥٨/١٤ .

- (٣٥٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب ما رخص للمريض أن يقول : إني وجع ، أو
وا رأساه ، أو اشتد بي الوجع .
- (٣٥٤) مدارج السالكين ١/١١٢ .
- (٣٥٥) فتح الباري ١٠/١٢٤ .
- (٣٥٦) فتح الباري ١٠/١٢٤ .
- (٣٥٧) انظر : فتح الباري ٥/٣٦٨ .
- (٣٥٨) انظر : مدارج السالكين ٢/١٧٥ ، وفتح الباري ٩/١٢٠ .
- (٣٥٩) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب طول النجوى ... ومسلم في كتاب
الأشربة ، باب الأمر بتغطية الإناء ، وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب ، وذكر اسم الله
عليها ، وإطفاء السراج والنار عند النوم ، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب
١٥٩٦/٣ .
- (٣٦٠) انظر : المواضع السابقة في صحيح البخاري ومسلم وغيرها ، وغيرهما .
- (٣٦١) أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون ، ومسلم في كتاب
السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ٤/١٧٣٧ .
- (٣٦٢) طريق المهجرين ص ٦٨ .
- (٣٦٣) سورة البقرة : من الآية ٢١٦ .
- (٣٦٤) انظر : طريق المهجرين لابن القيم ١/٦٩ .
- (٣٦٥) سورة آل عمران : الآية ١٦٥ .
- (٣٦٦) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤٢٥ .
- (٣٦٧) سورة النساء : من الآية ٧٩ .
- (٣٦٨) سورة الشورى : الآية ٣٠ .
- (٣٦٩) سورة الشورى : من الآية ٤٨ .
- (٣٧٠) طريق المهجرين ص ٧٠ .
- (٣٧١) انظر : التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ١٠/٤٠ ، والاستقامة لابن تيمية
٧٤/٢ .
- (٣٧٢) انظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/٢٠٤ .

- (٣٧٣) تفسير القرطبي ٣٨/١١ .
- (٣٧٤) فتح الباري ٢٢١/١ .
- (٣٧٥) مدارج السالكين ١١١/١ .
- (٣٧٦) انظر : منهاج السنة النبوية ٢٠٤/٣ .
- (٣٧٧) انظر : مدارج السالكين ١٨٨/٢ .
- (٣٧٨) انظر : مدارج السالكين ١٨٨/٢ .
- (٣٧٩) منهاج السنة النبوية ٢٠٤/٣ ، وشفاء العليل ص ٢٧٨ ، وهو من الإسرائيليات ، كما سيأتي - إن شاء الله - .
- (٣٨٠) انظر : منهاج السنة النبوية ٢٠٥/٣ ، ومدارج السالكين ٢٥٦/١ .
- (٣٨١) سورة البقرة : من الآية ٢٠٥ .
- (٣٨٢) سورة الزمر : من الآية ٧ .
- (٣٨٣) سورة النساء : من الآية ١٠٨ .
- (٣٨٤) سورة محمد : الآية ٢٨ .
- (٣٨٥) مدارج السالكين ١٨٨/٢ .
- (٣٨٦) سورة الأحزاب : من الآية ٣٦ .
- (٣٨٧) انظر : مدارج السالكين ١٨٨/٢ ، ١٨٩ .
- (٣٨٨) انظر : منهاج السنة ٢٠٥/٣ .
- (٣٨٩) انظر : منهاج السنة النبوية ٢٠٤/٣ ، وشفاء العليل ص ٢٧٨ .
- (٣٩٠) انظر : التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٤٠/١٠ .
- (٣٩١) انظر : شفاء العليل ص ٢٧٨ .
- (٣٩٢) انظر : التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٤٠/١٠ .
- (٣٩٣) انظر : شفاء العليل ص ٢٧٨ ، ومنهاج السنة النبوية ٢٠٤/٣ .
- (٣٩٤) انظر : منهاج السنة النبوية ٢٠٥/٣ .
- (٣٩٥) أخرجه هناد بن السري في الزهد في باب التوكل ٣٠٤/١ - ٣٠٥ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٠٣/٧ .
- (٣٩٦) انظر : التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٤٠/١٠ .

- (٣٩٧) انظر : منهاج السنة النبوية ٢٠٤/٣ .
- (٣٩٨) انظر : مدارج السالكين ١٧١/٢ .
- (٣٩٩) منهاج السنة النبوية ٢٠٤/٣ .
- (٤٠٠) سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، والتوبة ١٠٠ ، والمجادلة ٢٢ ، والبيّنة ٨ .
- (٤٠١) انظر : منهاج السنة النبوية ٢٠٤/٣ .
- (٤٠٢) مدارج السالكين ١٧١/٢ .
- (٤٠٣) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .
- (٤٠٤) انظر : تفسير الطبري ٩٨/١ - ١٠١ ، وتفسير ابن كثير ٢٠٩/١ .
- (٤٠٥) سورة البقرة : الآية ٢١٤ .
- (٤٠٦) التحفة العراقية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٤١/١٠ .
- (٤٠٧) انظر : فتح القدير للشوكاني ٣٨٢/١ ، وتفسير السيوطي ٣٢٦/٢ .
- (٤٠٨) سورة فصلت : الآية ٢٥ .
- (٤٠٩) انظر : تفسير القرطبي ٣٥٤/١٥ - ٣٥٥ .
- (٤١٠) سورة الشعراء : الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .
- (٤١١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، وأحمد في المسند ٢٥٦/٢ ، وفي مواضع أخرى .
- (٤١٢) انظر : عون المعبود لأبادي ٣٥٢/١٣ ، وفتح الباري ٦١٢/١٠ .
- (٤١٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب تشميت العاطس ، وكراهة التثاؤب ٢٢٩٣/٤ ، وابن حبان في صحيحه ١٢١/٦ .
- (٤١٤) سورة الأعراف : الآية ٢٨ .
- (٤١٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ... ١٩٨٦/٤ ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب القناعة ١٣٨٨/٢ .
- (٤١٦) إغاثة اللفهان ١٨١/٢ ، والقائل والله أعلم محمد بن الحسين الرضا . انظر : المنتظم لابن الجوزي ٢٨١/٧ .

- (٤١٧) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٤١ .
- (٤١٨) انظر : الإعلام للقرطبي ص ٢٢١ .
- (٤١٩) التصوف والسلوك ضمن فتاوى ابن تيمية ١١/٤٧٢ .
- (٤٢٠) تاريخ الطبري ٤/٥٩٣ ، وقائلها : قيل الرشيد ، الخليفة ، وفيه نظر فكثيراً ما نسبت إليه أمور لا تليق ، وقيل : التوزي . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢١٩ ، وتاريخ الطبري الموضع السابق .
- (٤٢١) سورة المائدة : من الآية ٢ .
- (٤٢٢) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذبح لغير الله - تعالى - ولعن فاعله ٣/١٥٦٧ ، والنسائي في الكبرى ، في ما ذبح لغير الله - عز وجل - ٣/٦٧ ، وفي المجتبى ٧/٢٣٢ ، وصححه الألباني ، وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه ١٤/٥٧١ .
- (٤٢٣) انظر : شرح السيوطي ٧/٢٣٤ .
- (٤٢٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ٣/١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، وأحمد في المسند ٦/٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٢١ ، وأبو داود في السنة ، باب في الدجال ٤/٢٤٢ ، وصححه الألباني ، وأخرجه الترمذي في الفتن ، باب ٧٨ ، ٤/٥٢٩ وقال : ﴿ حسن صحيح ﴾ وغيرهم .
- (٤٢٥) سورة الحجر : من الآية ٨٨ .
- (٤٢٦) سورة آل عمران : من الآية ١٥٩ .
- (٤٢٧) سورة فصلت : من الآية ٣٤ .
- (٤٢٨) انظر : فتح القدير للشوكاني ١/٣٨٢ .
- (٤٢٩) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب : الأمر والنهي ٤/١٢٤ .
- (٤٣٠) انظر : تفسير القرطبي ٤/٢٩٥ .
- (٤٣١) تفسير القرطبي ٤/٢٩٥ .
- (٤٣٢) سورة النساء : الآية ١٤٠ .
- (٤٣٣) أي : قام بتأديبه تعزيراً .
- (٤٣٤) تفسير القرطبي ٥/٤١٨ .
- (٤٣٥) قاله عدي بن زيد . انظر : تفسير الطبري ٥/٨٨ ، ومصنف ابن أبي شيبة ٥/٢٣٥ .

- (٤٣٦) سورة الأنعام : من الآية ٦٩ .
- (٤٣٧) مراتب الإرادة ضمن فتاوى ابن تيمية ٨/ ١٩٠ .
- (٤٣٨) التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٤٢ .
- (٤٣٩) انظر : شفاء العليل ص ٢٧٨ .
- (٤٤٠) سورة النساء : من الآية ١٠٨ .
- (٤٤١) سورة البقرة : من الآية ٢٠٥ .
- (٤٤٢) سورة التوبة : من الآية ٩٦ .
- (٤٤٣) سورة النساء : من الآية ٩٣ .
- (٤٤٤) سورة محمد : من الآية ٢٨ .
- (٤٤٥) سورة التوبة : من الآية ٦٨ .
- (٤٤٦) سورة المائدة : من الآية ٨٠ .
- (٤٤٧) سورة الزخرف : من الآية ٥٥ .
- (٤٤٨) سورة الإسراء : من الآية ٣٨ .
- (٤٤٩) انظر : مراتب الإرادة ضمن فتاوى ابن تيمية ٨/ ١٩١ .
- (٤٥٠) سورة الحجرات : من الآية ٧ .
- (٤٥١) سورة النور : من الآية ٥٥ .
- (٤٥٢) سورة الزمر : من الآية ٧ .
- (٤٥٣) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف ، باب الصدقة في الكسوف ، ومسلم في كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف .
- (٤٥٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب الغيرة ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب غيرة الله وتحريم الفواحش ٤/ ٢١١٤ .
- (٤٥٥) انظر : الصارم المسلول لابن تيمية ٢/ ٣٧٠ .
- (٤٥٦) انظر : المصدر السابق نفسه ٢/ ٣٨٣ .
- (٤٥٧) سورة النساء : من الآية ٦٤ .
- (٤٥٨) انظر : تفسير الطبري ٥/ ١٥٧ .
- (٤٥٩) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٤٦٠) انظر : قاعدة في الحجة ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٣/٣ .

(٤٦١) سورة المائدة : من الآية ٢٣ .

(٤٦٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الزهد (٢٩٥/٢) عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن

عباس مرفوعاً ، وبلغظ من أحب أن يكون ... ، أخرجه الحاكم في المستدرك

(٢٧٠/٤) ، وقال : ((هذا حديث قد اتفق هشام بن زياد النصري ، ومصارف بن زياد

المدني ، على روايته عن محمد بن كعب القرظي ، والله أعلم ، ولم أستجز إخلاء الموضوع

منه فقد جمع آداباً كثيرة)) ١ هـ .

وبين الذهبي بطلانه في التلخيص بهامش المستدرك ، وأخرجه القضاعي في مسنده

(٢٣٤/١) ، وعبد بن حميد في مسنده أيضاً ص ٢٢٥ ، بنحو لفظ الحاكم .

(٤٦٣) انظر : مدارج السالكين ٢٢٤/٢ .

(٤٦٤) انظر : مدارج السالكين ٢٢٠/٢ .

(٤٦٥) انظر : مدارج السالكين ٢١٢/٢ .

(٤٦٦) انظر : مدارج السالكين ٢٠٨/٢ .

(٤٦٧) انظر : مدارج السالكين ٢٠٧/٢ .

(٤٦٨) سورة الفجر : الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٤٦٩) سورة الحديد : من الآية ٢٣ .

(٤٧٠) سورة آل عمران : من الآية ١٣٩ .

(٤٧١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦/١٠ - ١٧ ، وانظر : نفس المرجع ١٦/٣٤ ،

ومنهاج السنة ٤٦٣/٨ - ٤٦٥ .

(٤٧٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب قول النبي - ﷺ - : ﴿ إنا بك لحزونون ... ﴾

ومسلم بنحوه في كتاب الفضائل ، باب رقمه - ﷺ - الصبيان والعيال ...

. ١٨٠٧/٤

(٤٧٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب البكاء عند المريض .

(٤٧٤) سورة النحل : جزء من الآية ١٢٧ ، والآية ١٢٨ .

(٤٧٥) سورة التوبة : من الآية ٤٠ .

(٤٧٦) انظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٦٤/٨ - ٤٦٦ .

(٤٧٧) التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٤٦/١٠ .

(٤٧٨) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب .

(٤٧٩) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ما ينهى من الخلق عند المصيبة ، ومسلم في

كتاب الإيمان ، باب تحريمه ضرب الحدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية

١٠/١ .

(٤٨٠) انظر : الجواب الباهر في زوار المقابر ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٨٠/٢٧ .

(٤٨١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ٦٤٤/٢ ، وأحمد في المسند

٣٤٢/٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، وابن ماجه في الجنائز باب في النهي عن النياحة ٥٠٣/١ ،

والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الجنائز ، باب ما ورد من التغليظ في النياحة ٦٣/٤ ،

وابن حبان في صحيحه ٤١٢/٧ ، وأبو يعلى في مسنده ١٤٨/٣ بإسناد صحيح .

(٤٨٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب قول النبي - ﷺ - يعذب الميت ببعض بكاء

أهله عليه ... ، وفي مواضع أخرى ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب

ببكاء أهله عليه ٦٣٨/٢ .

(٤٨٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣١٦/٢٤ .

(٤٨٤) انظر : منهاج السنة ٥٥٤/٤ .

(٤٨٥) أخرجه البخاري في المرضى ، باب عيادة الصبيان ، ومسلم في الجنائز ، باب البكاء على

الميت ٦٣٥/٢ .

(٤٨٦) أخرجه البخاري في المرضى ، باب نهى تمني المريض الموت ، وفي الدعوات ، باب الدعاء

بالموت والحياة ، ومسلم في الذكر والدعاء ... باب تمني كراهة الموت ... ٢٠٦٤/٤ .

(٤٨٧) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب الجهاد من الإيمان ، وباب تمني الشهادة ، وفي أول

كتاب التمني .

(٤٨٨) سورة يوسف : من الآية ١٠١ .

(٤٨٩) أخرجه البخاري في عدة مواضع ، منها : كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي

- ﷺ - : ((لو كنت متخذاً خليلاً ...)) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب

في فضل عائشة - رضي الله عنها - ١٨٩٤/٤ ، وغيرهما .

(٤٩٠) سورة الأعراف : من الآية ١٢٦ .

- (٤٩١) سورة مريم : من الآية ٢٣ .
- (٤٩٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤٩٣/٢ .
- (٤٩٣) انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٣٦/٨ .
- (٤٩٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب حق الجوار في قرب الأبواب ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٩/٢ .
- (٤٩٥) سورة الجمعة : الآية ١١ .
- (٤٩٦) أخرجه البخاري في أكثر من موضع ، منها : كتاب الرقاق ، باب ما يتقى من فتنة المال .
- (٤٩٧) انظر : العبودية لابن تيمية ص ١٠٢ .
- (٤٩٨) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء ... ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، ٢٠٨٨/٤ ، وابن حبان في صحيحه ٢٩٣/٣ ، والنسائي في المجتبى في باب الاستعاذة من دعاء لا يستجاب ، وصححه الألباني ٢٨٥/٨ ، وغيرهم .
- (٤٩٩) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٤١/١٧ ، والديباج للسيوطي ٧١/٦ .
- (٥٠٠) انظر : تفسير ابن كثير ٥٦١/١ .
- (٥٠١) سورة التغابن : من الآية ١١ .
- (٥٠٢) نسخة وكيع عن الأعمش ص ٥٩ ، وسنن البيهقي الكبرى ٦٦/٤ .
- (٥٠٣) سورة التوبة : من الآية ٧٢ .
- (٥٠٤) انظر : منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير ص ٣٩٨ .
- (٥٠٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٢/٨ ، وأحمد في المسند ٣٠٢/٢ ، ٣٢٠ ، وأبو داود في الجهاد ، باب في الجرأة والجن ، والبيهقي في الكبرى ١٧٠/٩ .
- (٥٠٦) أخرج مسلم في القدر ، باب الأمر بالقوة وترك العجز ... ٢٠٥٢/٤ ، وابن حبان في صحيحه ٢٩/١٣ ، وأبو يعلى بإسناد صحيح في مسنده ١٢٥/١١ ، وأحمد في المسند ٣٦٦/٢ .
- (٥٠٧) رسائل متفرقة ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٧/١٦ ، ٣٨ .
- (٥٠٨) انظر : الروح لابن القيم ٢٤١/١ .
- (٥٠٩) سورة الفاتحة : الآية ٦ .

(٥١٠) أخرجه البخاري في التوحيد ، باب قول الله - تعالى - : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَاذًا ... ﴾ ، ومالك في الموطأ ، في كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء ١١٣/١ ، ومسلم في الذكر والدعاء ... ، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت ، ٢٠٦٣/٤ .

(٥١١) انظر : مدارج السالكين ١٨١/٢ .

(٥١٢) انظر : مدارج السالكين ١٧٧/٢ .

(٥١٣) منازل السائرين للهروي الصوفي يداخل مدارج السالكين لابن القيم ١٨٣/٢ .

(٥١٤) انظر : التحفة العراقية ضمن فتاوى ابن تيمية ٤٧/١٠ .

(٥١٥) منازل السائرين للهروي الصوفي ، ضمن مدارج السالكين لابن القيم ٢٠٦/٢ .

(٥١٦) انظر : سؤال عما ذكر عن أبي سليمان الداراني ضمن فتاوى ابن تيمية ٦٨٤/١٠ ،

٦٨٥ .

(٥١٧) انظر : منازل السائرين ضمن مدارج السالكين ١٧٧/٢ .

(٥١٨) منازل السائرين للهروي الصوفي ضمن مدارج السالكين ٢٤٠/٢ .

(٥١٩) سؤال عما ذكر عن سليمان الداراني ضمن فتاوى ابن تيمية ٦٧٨/١٠ ، وذكر ابن

تيمية - رحمه الله - أن هذه المقولة مرسلة عن الداراني بإرسال لا تثبت بمثله . انظر :

الاستقامة ٦٥/٢ ،

(٥٢٠) سؤال عما ذكر عن سليمان الداراني ضمن فتاوى ابن تيمية ٦٨٩/١٠ ، وانظر :

الاستقامة ٨٦/٢ .

(٥٢١) سؤال عما ذكر عن سليمان الداراني ... ٦٠/١٠ ، والاستقامة ٨٨/٢ ، وقائله :

سحنون الصوفي .

(٥٢٢) انظر : مدارج السالكين ١٧٧/٢ .

(٥٢٣) سؤال عما ذكر عن أبي سليمان الداراني ضمن فتاوى ابن تيمية ٦٨١/١٠ ،

والاستقامة ٧٢/٢ .

(٥٢٤) مدارج السالكين ١٨٤/٢ .

(٥٢٥) سورة الفجر : الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

(٥٢٦) سورة البينة : من الآية ٨ .

(٥٢٧) انظر : مدارج السالكين ١٨٤/٢ .

(٥٢٨) أخرجه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة ، باب ثواب من قال حين يصبح وحين ... ٤/٦ ، وباب ما يقول إذا أمسى ١٤٥/٦ ، وابن ماجه في الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ١٢٧٣/٢ ، وقال في الزوائد : ﴿ إسناده صحيح ، رجاله ثقات ﴾ ، والحاكم في المستدرک ٥١٨/١ ، وقال : ﴿ ... صحيح الإسناد ولم يخرجاه ﴾ وصححه الذهبي .

(٥٢٩) الدندنة : الكلام الذي لا يفهم ، والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، في كتاب الصلاة ، باب إباحة الدعاء بعد التشهد ... ٣٥٦/١ ، وابن حبان في صحيحه ١٤٩/٣ ، وأبو داود في الصلاة ، باب تخفيف الصلاة ٢٩٢/١ - ٢٩٣ ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي - ﷺ - ٢٩٥/١ .

(٥٣٠) أخرجه مسلم في الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ... ٢٨٨/١ ، وأحمد في المسند ١٦٨/٢ ، ٢٦٥ ، وابن خزيمة في صحيحه ٢١٨/١ ، وابن حبان في صحيحه ٥٩٠/٤ ، وغيرهم .

(٥٣١) انظر : سؤال عما ذكر عن أبي سليمان الداراني ضمن فتاوى ابن تيمية ٧١٤/١٠ - ٧١٥ ، والاستقامة ١١٦/٢ ، ١١٧ ، ١١٨ .

(٥٣٢) انظر : سؤال عما ذكر عن أبي سليمان الداراني ضمن فتاوى ابن تيمية ٧٠٥/١٠ - ٧٠٨ ، والاستقامة ١١٦/٢ - ١٢٧ .

(٥٣٣) مجموع الفتاوى ٤٥/١ .

(٥٣٤) سورة الحجر : الآية ٩ .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأحاديث المختارة : أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما ، ضياء الدين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ، ط الأولى ١٤١٢ هـ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، دراسة وتحقيق : د . عبد الملك بن دهيش .
- ٣ - إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار القلم بيروت .
- ٤ - الأربعون الصغرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٥ - الأربعون العشرية : لعبد الرحيم العراقي ، تحقيق : بدر عبد الله البدر ، دار ابن حزم ١٤١٣ هـ .
- ٦ - الاستقامة : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر .
- ٨ - أصول الإيمان : للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : د . باسم الجوابرة .
- ٩ - الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ، ط الأولى ١٣٢٨ هـ ، نشر : دار العلوم الحديثة .
- ١٠ - الاعتقاد : لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، ط الأولى ١٤٠١ هـ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- ١١ - البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، ومكتبة المعارف بيروت .
- ١٢ - الأعلام ((قاموس التراجم)) : لخير الدين الزركلي ، ط الخامسة ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠ م .

- ١٣ - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام : للقرطبي ، تحقيق : أحمد السقا ، دار التراث بالقاهرة .
- ١٤ - البرهان في عقائد أهل الأديان : للسكسكي ، دار التراث العربي ١٤٠٠ هـ .
- ١٥ - بيان تلبيس الجهمية : لابن تيمية ، تحقيق : محمد بن عبدالرحمن القاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ١٣٩٢ هـ .
- ١٦ - تاج العروس من جواهر القاموس : لمرتضى الزبيدي ، دار ليبيا بينغازي .
- ١٧ - تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .
- ١٨ - تاريخ ابن معين برواية الدوري : ليحيى بن معين أبو زكريا ، تحقيق : د . أحمد نور سيف ، ط الأولى ، ١٣٩٩ هـ .
- ١٩ - تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٢٠ - تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعري : لعلي بن الحسن ابن عساكر ، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٩ هـ .
- ٢١ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٢٢ - ترتيب القاموس المحيط : محمد طاهر الزاوي ، ط الثانية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٢٣ - التدمرية : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد السعوي ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ .
- ٢٤ - تذكرة الحفاظ : لشمس الدين محمد الذهبي ، تحقيق : عبدالرحمن المعلمي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٧٤ هـ .
- ٢٥ - الترغيب والترهيب : لعبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط الأولى ١٤١٧ هـ ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٢٦ - التصديق بالنظر : محمد بن حسين الآجري ، تحقيق : سمير الزهيري ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٢٧ - التعرف لمذهب أهل التصوف : لأبي بكر محمد الكلاباذي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ .

- ٢٨ - التعريفات : لعلي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ،
نشر دار الكتاب العربي بيروت .
- ٢٩ - تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ هـ .
- ٣٠ - التوقيف على مهمات التعاريف : محمد بن عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد
رضوان الداية ط الأولى ١٤١٠ هـ ، نشر : دار الفكر بيروت ودمشق .
- ٣١ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، ط
١٣٨٧ هـ .
- ٣٢ - التوكل على الله : للدكتور سالم بن محمد القرني ، دار المجتمع بجدة ، ط الأولى
١٤١٧ هـ .
- ٣٣ - تهذيب مستمر الأوهام : لأبي النصر علي بن وهبة الله المشهور بابن مأكولا ، تحقيق :
سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٠ هـ .
- ٣٤ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : لسليمان بن عبد الله بن محمد بن
عبدالوهاب ، المكتب الإسلامي .
- ٣٥ - الثقات : لابن حبان البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط الأولى ١٣٩٥ هـ ،
نشر : دار الفكر .
- ٣٦ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط الثالثة ،
البابي الحلبي بمصر ، ١٣٨٨ هـ .
- ٣٧ - الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى البغا
١٤٠٧ هـ ، دار ابن كثير واليمامة .
- ٣٨ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد
محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، نشر المكتبة الإسلامية .
- ٣٩ - الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب ، نشر : دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧ هـ .
- ٤٠ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ،
تحقيق : د. محمود الطحاون ، مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٣ هـ .

- ٤١ - جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق : د . محمد بن علي الهاشمي ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١ هـ .
- ٤٢ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٤٣ - حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٥ هـ .
- ٤٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، ط الرابعة ، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥ هـ .
- ٤٥ - خلق أفعال العباد : لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د عبدالرحمن عميرة ١٣٩٨ هـ ، نشر دار المعارف بالرياض .
- ٤٦ - درء تعارض العقل والنقل : لابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٩ هـ .
- ٤٧ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لجلال الدين السيوطي ، نشر دار الفكر بيروت ، سنة ١٤١٤ هـ .
- ٤٨ - الدعاء : لسليمان أبي القاسم الطبراني ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، ط الأولى ١٤١٣ هـ نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٤٩ - دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة : لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : د . عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ .
- ٥٠ - الديباج على صحيح مسلم : لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : أبي إسحاق الأثري ، نشر دار ابن عفان بالخبر ١٤١٦ هـ .
- ٥١ - ذم التأويل : لموفق الدين ابن قدامة المقدسي ، الدار السلفية ، الكويت .
- ٥٢ - ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد : لأبي الطيب محمد بن أحمد الفاسي ، تحقيق : كمال الحوت ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠ هـ .
- ٥٣ - رؤية الله : لعلي بن عمر الدارقطني ، تحقيق : مبروك إسماعيل مبروك ، نشر مكتبة القرآن بالقاهرة .

- ٥٤ - الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة ، أو عقيدة السلف أصحاب الحديث : لأبي إسماعيل الصابوني ، تحقيق : بدر البدر ، نشر الدار السلفية بالكويت .
- ٥٥ - الرضا عن الله : لابن أبي الدنيا ، تحقيق : ضياء السلفي ، ط الأولى ١٤١٠ هـ ، دار السلفية بومباي .
- ٥٦ - رفع الأستار : لمحمد بن إسماعيل ، الشهير بابن الأمير الصنعاني ، تحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر المكتب الإسلامي ببيروت .
- ٥٧ - الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء : لابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ببيروت ١٣٩٥ هـ .
- ٥٨ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤١٢ هـ .
- ٥٩ - الزهد : لابن أبي عاصم ، تحقيق : عبدالعلي عبدالحميد ، ط الثانية ، دار الريان للتراث ١٤٠٨ هـ .
- ٦٠ - الزهد : لعبد الله ابن المبارك المروزي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ببيروت .
- ٦١ - الزهد : لهناد بن السري الكوفي ، تحقيق : عبدالرحمن الفريوائي ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .
- ٦٢ - الزهد وصفة الزاهدين : لأحمد بن محمد ابن الأعرابي ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر دار الصحابة بطنطا ، مصر .
- ٦٣ - سنن أبي داود : للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : عزت الدعاس ، دار الحديث بدمص سوريا .
- ٦٤ - سنن أبي داود : للحافظ سليمان بن الأشعث ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ببيروت .
- ٦٥ - سنن الدارمي : لأبي محمد الدارمي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، نشر دار إحياء السنة النبوية .
- ٦٦ - سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد بن ماجه ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- ٦٧ - السنن الكبرى : لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د . عبدالغفار البنداري ، وسيد كسروي ، ط الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٦٨ - السنن ((المجتبى)) : للنسائي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، ط الثانية ١٤٠٦ هـ ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .
- ٦٩ - السنن الكبرى : للبيهقي ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة ١٤١٤ هـ .
- ٧٠ - سير أعلام النبلاء : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة .
- ٧١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديد بيروت .
- ٧٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : لهبة الله بن الحسن اللالكائي ، تحقيق : د . أحمد سعد حمدان ١٤٠٢ هـ ، دار طيبة بالرياض .
- ٧٣ - شرح الحافظ السيوطي لسنن النسائي : للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ط الثانية ١٤٠٦ هـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب .
- ٧٤ - شرح حديث جبريل عليه السلام : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤١٥ هـ .
- ٧٥ - شرح العقيدة الأصفهانية : لابن تيمية ، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، ط الأولى ١٤١٥ هـ ، مكتبة الرسالة بالرياض .
- ٧٦ - شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : د . عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة .
- ٧٧ - شرح قصيدة ابن القيم : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط الثالثة ١٤٠٦ هـ ، نشر المكتب الإسلامي بيروت .
- ٧٨ - شعب الإيمان : لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد زغلول ، ط الأولى ١٤١٠ هـ ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٧٩ - شفاء العليل : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ٨٠ - الشكر : لابن أبي الدنيا ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .

- ٨١ - الصارم المسلول على شاتم الرسول : لابن تيمية ، تحقيق الحلواني وشودري ، ط الأولى ، دار ابن حزم بيروت ١٤١٧ هـ .
- ٨٢ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لمحمد بن حبان البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط الثانية ١٤١٤ هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٨٣ - صحيح الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ٨٤ - صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام النووي ، دار الفكر بيروت .
- ٨٥ - طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .
- ٨٦ - الطبقات الكبرى : لابن سعد ، دار صادر بيروت .
- ٨٧ - طريق المهجرتين وباب السعادتين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، ط الثالثة ١٤١٤ هـ ، نشر دار ابن القيم بالدمام .
- ٨٨ - العبر في خبر من غبر : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، دائرة المطبوعات بالكويت .
- ٨٩ - غدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : زكريا علي يوسف ، نشر دار الكتب العلمية بيروت .
- ٩٠ - العقل وفضله : لابن أبي الدنيا ، تحقيق : لطفي محمد الصغير ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ ، نشر دار الراية بالرياض .
- ٩١ - العقيدة : للإمام أحمد بن حنبل برواية الخلال ، تحقيق : عبدالعزيز السيروان ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ نشر دار قتيبة بدمشق .
- ٩٢ - عون المعبود شرح سنن أبي داود : لمحمد شمس الحق آبادي ، ط الثانية ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥ هـ .
- ٩٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ، المكتبة السلفية .
- ٩٤ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : لمحمد بن علي الشوكاني ، ط الثالثة دار الفكر بيروت ١٣٩٣ هـ .
- ٩٥ - الفرق بين الفرق : لعبدالقاهر البغدادي ، دار المعرفة بيروت .
- ٩٦ - فوائد العراقيين : لمحمد بن علي النقاش ، تحقيق : مجدي السيد ، مكتبة القرآن بالقاهرة .
- ٩٧ - القاموس المحيط : لمجد الدين الفيروزبادي ، دار الفكر للجميع .

- ٩٨ - القضاء والقدر : للدكتور عمر الأشقر ، دار النفائس بيروت ، ط الرابعة ، ١٤١٩ هـ .
- ٩٩ - القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة : للدكتور عبدالرحمن المحمود ، ط الثانية ، دار الوطن ١٤١٨ هـ .
- ١٠٠ - القناعة : لأبي بكر أحمد الدينوري ، تحقيق : عبد الله الجديع ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ ، مكتبة الرشد بالرياض .
- ١٠١ - القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، عالم الكتب .
- ١٠٢ - كشف الأستار عن زوائد البزار : لنور الدين الهيثمي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت .
- ١٠٣ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : لإسماعيل العجلوني تحقيق : أحمد العلاش ، ط الرابعة ، ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- ١٠٤ - لسان العرب : لأبي الفضل بن منظور ، دار صادر بيروت .
- ١٠٥ - لوايح الأنوار البهية : لمحمد بن أحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي بيروت ، مكتبة أسامة بالرياض ، ط الثانية ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٠٦ - مجمع الزوائد ومنيع الفوائد : لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مؤسسة المعارف بيروت .
- ١٠٧ - مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبدالرحمن القاسم ، ط رئاسة الحرمين .
- ١٠٨ - مجموعة التوحيد أو الجامع الفريد : دار الأصفهاني بجدّة ، الطبعة الثانية ، تقديم : الشيخ عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله - .
- ١٠٩ - مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي ، دار الفكر بيروت .
- ١١٠ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط الثانية ، ١٣٩٣ هـ ، نشر دار الفكر العربي بيروت .
- ١١١ - المستدرك على الصحيحين : للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للإمام الذهبي ، توزيع مكتبة المعارف بالرياض .
- ١١٢ - مسند أبي يعلى : لأحمد بن علي الموصلي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ نشر دار المأمون للتراث بدمشق .

- ١١٣ - المسند : للإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي للطباعة ، نشر دار الفكر بيروت .
- ١١٤ - مسند البزار : لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن وزين الله ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ ، مؤسسة علوم القرآن بيروت ، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة .
- ١١٥ - مسند الحارثي . ﴿ بغية الباحث عن زوائد الحارث ﴾ : للحارث بن أبي أسامة والحافظ الهيثمي ، تحقيق : د . حسين الباكري ، ط الأولى ١٤١٣ هـ ، نشر مركز خدمة السنة بالمدينة .
- ١١٦ - مسند الشهاب : ل محمد بن سلامة القضاعي ، تحقيق : حمدي السلفي ، ط الثانية ١٤٠٧ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت .
- ١١٧ - مسند الطيالسي : لسليمان بن داود الطيالسي ، دار المعرفة بيروت .
- ١١٨ - المشوف المعلم في ترتيب الاصطلاح على حروف المعجم : لأبي البقاء عبد الله العكبري ، نشر جامعة أم القرى .
- ١١٩ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد المقرزي الفيومي ، توزيع دار الباز بمكة .
- ١٢٠ - المصنف في الأحاديث والآثار : لابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال الحوت ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ مكتبة الرشد بالرياض .
- ١٢١ - المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن الحسيني ، ١٤١٥ هـ ، نشر دار الحرمين بالقاهرة .
- ١٢٢ - معجم البلدان : لياقوت الحموي ، دار الفكر بيروت .
- ١٢٣ - المعجم الصغير : لابن القاسم الطبراني ، تحقيق : محمد شكور ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر المكتب الإسلامي ، دار عمار بيروت وعمّان .
- ١٢٤ - المعجم : لأبي يعلى الموصلي ، تحقيق : إرشاد الأثري ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ ، إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد .
- ١٢٥ - المعجم الكبير : لأبي القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ ، مكتبة دار الحكم بالموصل .
- ١٢٦ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : لأبي عبد الله البكري ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب بيروت ١٤٠٣ هـ .

- ١٢٧ - معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث بيروت .
- ١٢٨ - مفتاح دار السعادة : لابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ١٢٩ - المفردات في غريب القرآن : لحسين الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت .
- ١٣٠ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : هلموت ريسر ، ط الثالثة نشر دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ١٣١ - الملل والنحل : لأبي الفتح الشهرستاني ، دار المعرفة بيروت .
- ١٣٢ - المنار النيف في الصحيح والضعيف : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، ط الثانية ١٤٠٣ هـ ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .
- ١٣٣ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب : لجد الدين أبي السعادات ابن الأثير ، تحقيق : د . محمود الطناحي ، طباعة ونشر جامعة أم القرى .
- ١٣٤ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : لعبدالرحمن ابن الجوزي ، ط الأولى ١٣٥٨ هـ ، دار صادر بيروت .
- ١٣٥ - منهاج السنة النبوية : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ .
- ١٣٦ - الموسوعة الحديثية ﴿ مسند الإمام أحمد ﴾ : تحقيق : د . عبد الله التركي ، وشعيب الأرنؤوط ومن معهم ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- ١٣٧ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر : دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ١٣٨ - ميزان الاعتدال : للإمام محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة بيروت .
- ١٣٩ - النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة : لابن تغري بردي ، دار الكتب المصرية بالقاهرة .
- ١٤٠ - النبوات : لابن تيمية ، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٨٦ هـ .
- ١٤١ - نسخة وكيع عن الأعمش : لو كيع بن الجراح ، تحقيق : عبدالرحمن الفريوائي ، ط الثانية ١٤٠٦ هـ ، الدار السلفية بالكويت .

- ١٤٢ - النهاية في غريب الأثر : لأبي السعادات ابن الأثير الجزري ، تحقيق : طاهر الزاوي ،
ومحمود الطباخي ، ١٣٩٩ هـ ، نشر دار الفكر بيروت .
- ١٤٣ - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار : للشوكاني ، دار الجيل
بيروت ١٩٧٣ م .
- ١٤٤ - الرابل الصيب من الكلم الطيب : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض ،
ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر الكتاب العربي بيروت .
- ١٤٥ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : لابن قيم الجوزية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة
النبوية .
- ١٤٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس ابن خلكان ، تحقيق : د . إحسان
عباس ، دار صادر بيروت .